الفصل الثاني
دور الإعلام والعمليات النفسية في إدارة الصراع
(مثال تطبيقي حرب العراق ولبنان)

المبحث الأول:

دور الإعلام والعمليات النفسية في حرب العراق.

المبحث الثاني:

دور الإعلام والعمليات النفسية في حرب لبنان.

المبحث الثالث:

الدروس المستفادة من حربي العراق ولبنان.

* * *

obeikandl.com

الفصل الثاني
دور الإعلام والعمليات النفسية في إدارة الصراع

كانت حرب العراق الأخيرة مارس ٢٠٠٣ والعدوان الإسرائيلي الغاشم على لبنان أغسطس ٢٠٠٦ أبرز الأمثلة الحديثة لإدارة الصراع المسلح من خلال توظيف وسائل الإعلام المختلفة وطرق العمليات النفسية لتحقيق النصر.

تقوم الولايات المتحدة نفسها حاليًا بالقيام ببعض حملات الدعاية المضادة لها لدائرة الحملات النفسية عنها، وقد تكون غير صحيحة ودون توضيح أن مصدر هذه الأخبار أمريكا نفسها بهدف إلصاق مصدرها بجهات أخرى غير أمريكية للإيحاء بأن سياسات أمريكا تلقى قبولًا من أطراف أخرى.

وإيمانًا من الولايات المتحدة بأهمية الإعلام خصصت وزارة الدفاع الأمريكية ٤٠٠ مليون دولار لإدارة العمليات النفسية من خلال وسائل الإعلام بهدف دعم سياسات أمريكا الخارجية ولاسيما في شئون الشرق الأوسط، حيث تواجه بانتقادات واسعة نتيجة لازدواجية المعايير والكيل بمكيالين ودعمها الصارخ لإسرائيل وحربها العبثية في العراق وتداخلاتها المستمرة في الشئون الداخلية للدول العربية والإسلامية، وقد اعترفت أمريكا في حروبها الأخيرة بأن الإعلام أصبح أحد أهم طرق العمليات النفسية التي تحرص على توظيفها على أكمل وجه لتحقيق انتصاراتها في هذه الحروب.

وخلال هذا الفصل سوف نستعرض دور الإعلام والعمليات النفسية في إدارة الصراع من خلال التطبيق على حرب العراق ولبنان كالتالي:

أ - **المبحث الأول:**

دور الإعلام والعمليات النفسية في حرب العراق.

ب- **المبحث الثاني:**

دور الإعلام والعمليات النفسية في حرب لبنان.

ج- **المبحث الثالث:**

الدروس المستفادة من حربي العراق ولبنان.

د- **خلاصة الفصل الثاني.**

* * *

المبحث الأول
دور الإعلام والعمليات النفسية في حرب العراق

الحرب على العراق لا تزال تدور رحاها ولم تحسم بعد باعتراف قادة أمريكا أنفسهم؛ فهي تعد الحرب الأولى في التاريخ التي تستفيد منها أمريكا من إستراتيجيتها الجديدة القائمة على العمليات النفسية والصدمات ، وعلى الرغم من أن كثيرًا من ملامح الخطة النفسية لهذه الحرب لم يكتشف بعد إلا أن هناك كثيرًا من الدلائل التي تشير إلى أهميتها وثقلها [١].

أكد معظم المحللين السياسيين والعسكريين أن هذه الحرب حرب نفسية إعلامية تستهدف بالدرجة الأولى النيل من معنويات الشعب العراقي على وجه الخصوص والشعوب العربية والإسلامية عمومًا ، وتسعى أيضًا لزعزعة ثقتهم بأنفسهم ومعتقداتهم وقدراتهم، فأمريكا استخدمت وسائل الإعلام لنشر المعلومات المضللة والأكاذيب عملًا بالمبدأ الذي وضعه الألماني «جوتن» أثناء الحرب العالمية الثانية والقائل: «**اكذب اكذب ثم اكذب حتى تصبح الأكذوبة حقيقة**»[٢].

٩٦- يتم تهيئة الرأي العام وتعبئته نفسيًّا من خلال وسائل الإعلام بهدف التدخل العسكري من خلال **أربعة مراحل**:

أ- **المرحلة الأولية**:

يتم فيها إظهار الدولة المعنية في الأخبار على اعتبار أنها سبب الاهتمام المتصاعد؛ سواء كان ذلك بسبب الفوضى الديكتاتورية، أو الفقر، أو ما شابه ذلك.

ب- **مرحلة التبرير** [٣]:

فيها تتصاعد الأخبار لتوضيح أن هناك حاجة ملحة للتدخل العسكري لإعادة الأوضاع لطبيعتها بصورة سريعة.

---

(١) محمد منير حجاب، مرجع سبق ذكره، ص ٦٧.

(٢) عماد عبد الرحيم الزغول، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٧.

(٣) ألفت أغا دور، الإعلام في الحرب على العراق "خريطة أزمة – ومستقبل أمة" تحرير حسن نافعة – نادية محمد مصطفى، القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ٢٠٠٣، ص٣٠.

ج- **مرحلة التنفيذ:**

وفيها يظهر دور الرقابة والتحكم في وسائل الإعلام والتغطية الإعلامية.

د – **مرحلة المابعد:** أي العواقب، وفيها يتم إظهار أن الأمور بدأت تعود لطبيعتها.

ويمكن تقسيم العمليات النفسية التي تمت أثناء حرب العراق لثلاثة مراحل:

أ – **العمليات على المستوى الإستراتيجي** [(١)]:

تعود جذور العمليات النفسية في حرب الخليج الثالثة إلى ما قبل حرب الخليج الثانية منذ بدأت إدارة بوش الأب بحملة إعلامية وسياسية ونفسية ضد النظام العراقي، ثم اشتدت بعد الاجتياح العراقي للكويت، وتركزت جهود العمليات النفسية على المستوى الإستراتيجي على إقناع العالم بمدى الخطورة التي يشكلها العراق على السلم العالمي ، ثم جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ولم تجد الإدارة الأمريكية حرجًا في الإفصاح عن أهدافها الإستراتيجية التي كانت قبل ذلك شبه سرية أو غير معلنة على الأقل؛ سواء في منطقة الشرق الأوسط، أو في باقي المناطق والأقاليم ؛ فاتخذت من أفغانستان المحطة الأولى في حملتها التي رتبت أولوياتها بحسب مصالحها الإستراتيجية وحجم التهديد وحجم قدرتها على إتمام مهمتها بأقل قدر من التكاليف أو الخسائر على نحو يخدم العمليات في المراحل اللاحقة.

ب- **العمليات النفسية التعبوية (المستوى الميداني)**[(٢)]:

نشطت الدبلوماسية الأمريكية في مجال تشويه صورة النظام العراقي، واستفادت من سيطرتها على كبريات وسائل الإعلام وعلى نفوذها داخل أروقة الأمم المتحدة وفي الأحلاف والمنظمات الدولية لتستصدر القرارات المتعلقة بنزع أسلحة الدمار الشامل العراقية، وكان للمعارضة العراقية في الخارج النصيب الأوفر من جهود الحملة النفسية Psychological Operations Campaign وأخذ نفوذ هذه الفئة يتنامى لكن على نطاق محدود ، كما أخذت قيادات هذه المعارضة تعد العدة لتولي مقاليد الحكم بعد صدام.

ج- **العمليات النفسية الأمريكية:**

لم يسمح للإعلاميين في هذه الحرب بالوصول إلى الحقيقة بحرية، وكانت التقارير

---

(١) مجلة الدفاع العربي الصادرة في ١/ ٦/ ٢٠٠٥، ص ٧٤.

(٢) مجلة الدفاع العربي، المرجع السابق، ص ٧٥.

الإخبارية تخضع للرقابة العسكرية المباشرة؛ أما اللقطات والصور التليفزيونية الملتقطة من الجو، فقد كانت تتولاها الطواقم العسكرية التابعة وقتئذ لكتائب العمليات النفسية والتي تعرف تداولًا باسم Psyops Battalions، وكان نتيجة ذلك وجود سوق سوداء للمعلومات بسبب احتكارهذه المعلومات.

وترى الباحثة: أن حرب العراق لم يشهد العالم حربًا مثلها في تاريخه ، فلقد شهدت حربًا تكنولوجية وإعلامية لا تقل شراسة عن أي حرب ، حيث تجلى فيها التفوق التكنولوجي عسكريًّا كما تجلى إعلاميًّا فلم نعرف حربًا بلغ فيها تشويه الإعلام وتزويره مثل الحد الذي بلغه في هذه الحرب ، إذ وقع العبث بالرأي العام في كل مكان ، وانتهكت حقوق الإنسان، التي طالما تدعي القوى العظمى أنها الراعية لها، ولكنها تفعل عكس ما تقول.

«إنها أول أوسع حرب تلفازية، عمد فيها (التلفاز المحارب) - بحسب وصف دوكلاس كليز - إلى تركيب أكبر عملية تضليل ودعاية لم تتعرض لها أمم العالم من قبل، وكانت أسطورة الحرب النظيفة والأسلحة الذكية تنقل ما يحدث من مآس في الحرب على أنها أشبه بلعبة البيسبول الأمريكية، تم فيها تغييب الوعي وتغليب المشاعر لصالح الماكينة الدعائية والعسكرية الغربية والأمريكية التي وجدت في هذه الحرب فرصتها لتصريف منتجاتها» [(١)].

إن التضليل الإعلامي للرأي العام ليس في حقيقته إلا تعبيرًا عن ظاهرة غسل الدماغ في مستواها الجماعي للإخلال بالنظام القيمي وإعادة ترتيب سلم الأولويات، وكانت عملية تشويه صورة العراق بأنه الخطر الذي يتهدد العالم، أوضح مثال على ذلك استثمرت أمريكا ذلك، حيث في تبرير الذعر الذي أصاب سكان نيويورك وعواصم أوروبية وعربية عديدة من مخاطر الصواريخ الكيماوية العراقية المزعومة [(٢)].

أساليب التضليل الإعلامي:

أولًا: تشويه صورة العراق:

إن وسائل الإعلام التي سخرها الغرب لحملته على العراق كرست أقصى الطاقات

---

(١) حميدة مهدي سميسم: مرجع سبق ذكره، ص ١٩٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٥.

والإمكانات لتشويه الحقائق وإسباغ الشرعية والعدالة على حرب مدمرة ظالمة، وكان هدف التشويه الأساسي تجسيد صورة الشر العراقي [١].

وترى الباحثة: أن وسائل الإعلام صورت العراق بمثل كل الشرور في العالم التي تهدد الديمقراطية والحرية والإنسانية، ومن أبرز صور التشويه:

أ - التلويح بخطر ما أسمته بالتوسع العراقي ووجود مخططات عراقية لتقسيم الجزيرة العربية تشارك فيها دول عربية ، وسيطرة العراق على منابع النفط في الخليج بما يهدد مصير السلام ورفاهية أوروبا وأمريكا ، والادعاء بأن العراق يتحكم بأكثر من ٤٠٪ من الاحتياطي النفطي لإثارة الرأي العام العالمي، وذكر الكاتب جيمس اكنز: «أن استعمال مثل هذه الروايات الخرافية جرى بشكل متعمد من أجل تجزئة المنطقة والتوقف عن مساعدة الدول العربية الفقيرة، وذلك من خلال تقسيم العرب إلى عرب أغنياء طيبين وعرب فقراء شريرين، ومن جانب آخر وصف دخول العراق للكويت بأنه يمثل انقلابًا خطيرًا في ميزان الاقتصاد العالمي، وأن معدل البطالة في الولايات المتحدة قد ارتفع بسبب ذلك ووصل إلى أعلى معدلاته، فضلًا عن وضع أسواق الأسهم العالمية والبورصات لتأكيد حالة الضرر وتبرير شن العدوان وتهيئة الرأي العام العالمي لتقبل ذلك» [٢].

ب- **تضخيم حجم القوة العسكرية العراقية من خلال:**

(١) التهويل في حجم القوات العسكرية في الكويت وأنها قد وصلت لمليون مقاتل ، وامتلاك العراق مخزونًا هائلًا من الأسلحة التقليدية وأسلحة التدمير الشامل، والتي تشكل خطرًا كبيرًا على القوات الأمريكية الموجودة في السعودية.

(٢) تضخيم فاعلية الإستراتيجية العسكرية العراقية ومرونتها في مواجهة القصف الجوي وسهولة التكيف مع التنقل لمواقع جديدة ، فقد كان هناك حرص من الجانب الأمريكي على إغفال معاناة العراقيين في ظل الهجوم وتجنب عرض المدنيين والمواقع التي تعرضت للقصف على شاشات التليفزيون ، والحرص كذلك على إبراز مساوئ الرئيس العراقي ونظامه بهدف تأييد التشدد الأمريكي حيال العراق وتبرير العمل العسكري ضدها [٣].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٢) نفس المرجع السابق، ص٢٠٠.

(٣) آمال كمال طه، صورة العراق في التغطية الصحفية العربية والغربية في التسعينات دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، قسم صحافة، ٢٠٠١، ص ٣٤١.

(٣) استخدمت الصحف أسلوب التكرار والتكييف بهدف تأصيل تصورات معينة تؤكد على وحشية النظام العراقي واستخدامه للأسلحة البيولوجية والكيميائية على المسجونين الإيرانيين كحقول تجارب لهذه الأسلحة، وإعدام النظام العراقي لمئات من المعتقلين السياسيين، ونشر قصص تشير إلى قيام الرئيس العراقي بأعمال تشويه للمواطنين العراقيين وبتر أعضاء من أجسادهم وأنه يعيش في رغد في ظل معاناة شعبه.

ثانيًا: أسطورة الحرب النظيفة:

أسطورة الحرب النظيفة والقصيرة كانت في إطار طرق الخداع المتبعة في الحملات النفسية الأمريكية ، فجزء من التقاليد الأمريكية السياسية والعسكرية هو الكذب ؛ فلقد حرص الأمريكان على إظهار هذه الحرب بأنها ستكون حربًا قصيرة وتنتهي خلال ٤٨ ساعة بهدف حشد وتأييد الرأي العام للخيار العسكري.

ثالثًا: النظام العالمي الجديد وتبرير شرعية الحرب [(١)]:

قام الرئيس الأمريكي جورج بوش بإطلاق بعض المعلومات المخادعة (المضللة)، منها: «النظام العالمي الجديد» والذي لا يعني سوى الهيمنة الأمريكية بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي، واتضحت هذه المعلومات المضللة جليًّا بعد وقت العمليات العسكرية، واستمرار الحصار على العراق، وكان المطلوب من ذلك:

أ - تقديم الولايات المتحدة على أنها تمتلك الشرعية طبقًا لذلك.

ب- وهذه الشرعية تمنح الولايات المتحدة - بما منحها الله من ثروات وخيرات - حق إرشاد بقية العالم إلى السلام والاستقرار والعدالة الاجتماعية.

ج- أن ما تقوم به من حرب ضد العراق إنما هو لخدمة مصالح معظم الدول وليس من أجل النفط فحسب، ولكن من أجل السلام العالمي.

د - تحقيق الشرعية الدولية في إطار النظام العالمي الجديد، فإنه من الضروري إنهاء الاحتلال العراقي للكويت.

وكل ذلك جرى لتغييب الوعي وتغليب المشاعر لصالح الماكينة الدعائية والعسكرية

(١) حميدة سميسم: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٢.

الغربية والأمريكية التي وجدت في هذه الحرب فرصتها لتصريف منتجاتها [١].

العمليات النفسية التي تم اتباعها خلال حرب العراق من خلال وسائل الإعلام:

أ- قبل إصدار الرئيس الأمريكي جورج بوش أوامره للقوات الأمريكية بإطلاق قنابلها وقذائفها على العراق وفقًا لتقرير توماس هانكر وإريك شميث مراسل النيوز تايمز للشرق الأوسط بدأت هذه القوات هجومًا إعلاميًّا كاسحًا استخدمت فيه مستودعات من الأسلحة الإلكترونية والنفسية، وبدأ خبراء الاتصالات الفضائية شن حملة من الرسائل الإلكترونية موجهة إلى القيادات السياسية والعسكرية والاقتصادية العراقية تحثهم على التخلي عن صدام حسين ونظامه [٢]، وصاحب العمليات العسكرية بالعراق حرب واسعة النطاق استخدمت فيها الوسائل كافة لتحريض الشعب العراقي والعناصر العسكرية لقلب الحكم، وذلك عن طريق طرح مشروعات عدة للتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية والمساندة المستقبلية، وشارك في هذه الحرب عناصر مخابراتية في الداخل تم تجنيدها وتدريبها على أعلى مستوى، بالإضافة إلى وسائل الإعلام المختلفة وإن كانت ضمن الاحتمالات في تفسير أسباب هذا السقوط السريع لبغداد.

ب- السبق والإحباط من خلال الإعلان الموقوت والفوري عن الخسائر في قوات التحالف (سقوط طائرة مروحية في جنوب الكويت - تصادم طائرتين) بما يحول من استغلالها من جانب العراقيين [٣].

ج- بث الثقة في مصداقية التخطيط الأمريكي، من خلال:

(١) تحقيق التوازن بين القول والفعل (التصريحات والضربات الجوية والهجوم البري) مع الاستمرارية والملاحقة للأهداف المخاطبة.

(٢) تجسيد الثقة بالنفس وتعظيم القدرات والقوات الأمريكية كأعظم قوة في العالم لرفع الروح المعنوية للقوات والشعب الأمريكي في مقابل تخويف وقتل الروح المعنوية للقوات.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٩٢.

(٢) منير حجاب: مرجع سبق ذكره، ص ٦٧.

(٣) مركز الشئون النفسية: تقرير متابعة، ص ١٠.

(٣) الضغط النفسي على الأهداف المخاطبة المتدرجة في النظام العراقي وهيئة قيادته: الحرس الجمهوري - قيادات وضباط وجنود القوات العراقية - رؤساء القبائل. من خلال تكثيف وتكرار الهجمات الجوية الليلية مع البدء في الهجوم النهاري في اليوم الثالث للحرب واستهداف أهداف ذات تأثير نفسي (قصور الرئاسة - مراكز ومصالح حكومية ورئاسية - وزارة الإعلام - مبنى الإذاعة والتليفزيون - مركز الاتصالات).

وترى الباحثة: أن كل هذه الوسائل كانت بهدف خلق حالة من القلق والتوتر والوصول إلى حالة من الإجهاد البدني والنفسي، بالإضافة لإرباك القيادة وخفض الروح المعنوية والإحساس بالعجز ، كما تم إطلاق اسم «الحرية للعراقيين» على هذه الحملة العسكرية مستغلين شعور بعض العراقيين بالكراهية تجاه النظام العراقي، وأهم أهداف هذه الحرب هو تخليص الشعب من هذا النظام الديكتاتوري.

(٤) الحملة العسكرية النفسية الأمريكية وجهت إلى كل من عناصر القوات المسلحة والمدنيين ودعتهم للعودة سالمين والاستسلام حتى لا يتعرضوا للقتال، والحملة ضد المدنيين كانت بهدف تقبلهم نظام الحكم ودفعهم للترحيب والتعاون مع القوات العسكرية التي ادعت أنها قادمة لتخليصهم من النظام الحاكم [١].

د – ترويج أن العراق قام بنقل ٢٥٠ صاروخًا من نوع صمود "٢" إلى الجنوب وهو على الأغلب سيقوم باستخدامها ضد قوات التحالف والدول المحيطة بعد أن يتم تزويدها برؤوس نووية أو كيميائية.

طرق العمليات النفسية:

الدعاية: استخدام الدعاية كأحد الأساليب المتبعة بهدف:

أ – إقناع الرأي العام العالمي بشرعية هذه الحرب وكسب تأييده للوقوف إلى جانبها بالحرب ضد العراق.

ب– إقناع شعبي الولايات المتحدة وبريطانيا بأهمية هذه الحرب وعدالتها.

ج– التأثير في معنويات الشعوب العربية لاسيما الشعب العراقي للقبول بهذه الحرب

(١) محمد منير حجاب: مرجع سبق ذكره، ص ٧٠.

والوقوف إلى جانبها ضد النظام العراقي، وحكومتي الولايات المتحدة وبريطانيا عندما بدأت الحملة الإعلامية قبل وأثناء الحرب اعتقدت أنها تسيطر أو تملك وسائل الإعلام العالمية لتسييرها على النحو الذي تريده ونسيت أن كثيرًا من وسائل الإعلام والمحطات النظامية خارج نطاق سيطرتها.

د - ادعاء أمريكا وبريطانيا أنهما تنفذان الشرعية الدولية في هجومهما على العراق مع أنهما تخالفان الشرعية الدولية لكون هذه الحرب لم تحظ بموافقة مجلس الأمن [١].

هـ - الادعاء بأن المدن العراقية تسقط تحت سيطرة جيش الحلفاء وأن الأهالي يرحبون بهم، وأشارت الدلائل إلى كذب ادعائهم ، كما أظهرت الفضائيات حجم المقاومة العراقية على الصعيدين العسكري والمدني.

التهديد والوعيد:

أشارت الولايات المتحدة إلى إمكانية خوضها الحرب على ثلاث جبهات في آن واحد؛ بالإشارة للحملة الأمريكية على الإرهاب التي بدأت وما زالت في أفغانستان والحرب على العراق والنزاع المحتمل مع كوريا الشمالية، هذا بخلاف الإعلان كل يوم عن كفاءة وقدرات الأنواع المختلفة من الأسلحة والذخائر مثل الطائرات B1, B2, B52, F117 محملة بالأطنان من القنابل مثل الإعلان عن قنبلة «أم القنابل» التي تزن حوالي ٩.٥ طن[٢].

التضليل والتشويش:

أ - الاتهامات الموجهة من وزير الخارجية كولن باول في خطابه أمام مجلس الأمن في الخامس من فبراير ٢٠٠٣، والذي قدم فيه صورًا وتسجيلات تؤكد من وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية امتلاك العراق لأسلحة التدمير الشامل في إطار حملة تضليل.

ب- خلق حالة من البلبلة والارتباك لدى الرأي العام خاصة العربي بالتوظيف المتوازن للوسائل المسموعة والمرئية (إذاعات - قنوات فضائية) وقدرتها وفاعليتها في

(١) عماد الزغول: مرجع سبق ذكره، ص ١٨٠.

(٢) محمد منير حجاب: مرجع سبق ذكره، ص ٧١.

التأثير على مشاعر واتجاهات الرأي العام وتكامل إجراءات الاحتواء لردود الفعل السلبية الصادرة إزاء بدء الحرب ضد العراق [1].

ج- استمرار بث وتوجيه نداءات بواسطة طائرات الكوماندوز بهدف تحريض القوات على الاستسلام والتخلي عن مواقع تمركزها مع بث مشاعر الخوف والقلق من مواجهة قوات التحالف.

السيطرة الإعلامية وتمثلت في:

أ - اعتقال أكثر من ألفين من الناشطين من دعاة السلام في الولايات المتحدة الأمريكية الذين عرضوا أفلام وتقارير إعلامية نزيهة.

ب- مصادرة ما أمكن من الأفلام والتقارير والمقالات والوثائق التي تفضح هذه الجرائم عبر نقاط التفتيش.

ج- حجب معلومات الكثير من مواقع الإنترنت المعادية للحرب وتدمير بعض هذه المواقع تحت حجة إرهاب الإرهاب وشل سرعة مواقع أخرى.

د - مراقبة البريد الإلكتروني ومصادرة ما يراد مصادرته وتوزيع رسائل إلكترونية عشوائية من عناوين مجهولة تخدم الخطط الأمريكية.

هـ-إرهاب الإعلاميين عن طريق إلقاء القنابل من الطائرات والمدفعية والصواريخ على محطات الإذاعة والتلفزيون الأرضية والفضائية العراقية وعلى وزارة الإعلام العراقية ومحاصرة الصحفيين.

و- فرض حصار على مصادر المعلومات التابعة لبريطانيا أو الولايات المتحدة الأمريكية، والاقتصار على توزيع الأخبار والمعلومات التي تخدم العدوان.

ز- الضغط على وسائل الإعلام العالمية والعربية لتفريق الإعلاميين المتعاطفين مع العراق والمحايدين وإعطاء مساحات للمتعاونين.

ح- تسريح الصحفيين الأمريكيين المحايدين؛ لأنهم نشروا حقائق غير منحازة، ودبلجة الإعلام بالمزج بين منطقة وأخرى اعتمادًا على تشابه التضاريس ولاسيما في الصحراء، حيث ينعدم التمييز بين منطقة وأخرى، ويتم القيام بعمليات إنزال عسكرية في

(١) مركز الشئون النفسية: تقرير المتابعة، ص ١٢.

العمق للتصوير التليفزيوني تحت مظلة من القصف الجوي والصاروخي لتأمين القائمين بعمليات الإنزال ومرافقيهم من الإعلاميين، وتبث الأفلام توعية عسكرية تؤدي إلى ضعف سيطرة القيادة على عناصره المنتشرة في أماكن بعيدة لاسيما المدن المحاصرة.

ط- استغلال بعض رجال الدين الشيعة بفتاوى رمادية مما أثر على معنويات قسم كبير من الشيعة في العراق.

ى – هذا بالإضافة إلى الوسائل المخططة للعمل النفسي[1] (محطة سوا - الإذاعات الموجهة - صوت العراق الحر...) ورصد توظيفها للإذاعة العراقية كأكثر الوسائل قدرة على الانتشار والوصول إلى الشعب العراقي والجمهور المخاطب للحملة.

ك- استخدام أجهزة الإعاقة والتشويش على وسائل وإمكانيات الجانب العراقي مع السيطرة على ترددات الإذاعة والتليفزيون «تليفزيون الشباب» وبث برامجه الموجهة على نفس الترددات باللغة العربية.

ل- استخدام البريد الإلكتروني في مخاطبة القادة العراقيين وحثهم على الاستسلام.

م- توظيف القنوات الفضائية العربية مع الإذاعات ومكبرات الصوت لإذاعة مواد وموضوعات العمل النفسي المعادي خاصة في تسريب الشائعات وعرض حجم وطبيعة القدرات والإمكانيات العسكرية لقوات التحالف في مواجهة الضغط النفسي وإمكانية الجانب العراقي (تفتيت القوة والعزيمة وتأكيد مصداقية الدوافع الأمريكية في التحرك ضد العراق في ظل الانقسامات الأوروبية).

حملات الشائعات[2]:

من أكثر الأساليب التي وظفت من طرفي الصراع، حيث بلغ إجمالي الشائعات المرصودة ٤٥ شائعة، وكان من أبرزها بالنسبة للجانب الأمريكي:

أ- التضارب في أنباء استسلام واستيلاء قوات التحالف على شبه جزيرة الفاو – ميناء وقرية أم القصر.

ب- التمرد الشعبي في عدد من المدن الشيعية ورغبة عدد كبير من الجنود العراقيين في الاستسلام.

---

(١) مركز الشئون النفسية: تقرير المتابعة، ص ١٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٤.

ج- استسلام أعداد كبيرة من الجنود العراقيين وإصابة ومقتل عدد من رموز الحكم في النظام العراقي.

د- اكتشاف مخابئ مواد تستخدم في تصنيع أسلحة الدمار الشامل.

هـ- الولايات المتحدة تختبر أم القنابل (مواب).

و- مجندون عراقيون يقتلون ضابطهم للاستسلام في شبه جزيرة الفاو.

ز- العراقيون يستخدمون أجهزة ومعدات شوشرة على الطائرات والصواريخ.

وعلى الجانب العراقي كانت أبرز الشائعات:

أ - قيام القوات الأمريكية بقتل الأطفال والنساء والرجال المدنيين المستسلمين.

ب- إسقاط أعداد كبيرة من الصواريخ الأمريكية وطائرات الهليكوبتر (آباتشي) بأسلحة خفيفة وبدائية.

ج- اشتراك إسرائيل من خلال أفراد القوات الأمريكية من مزدوجي الجنسية.

د - استخدام أمريكا لصواريخ صناعة إسرائيلية.

هـ- أن الله مع العراق (عواصف - أمطار - سقوط طائرات وتدمير دبابات).

المنشورات:

أ - أسقط الجانب الأمريكي ٨ ملايين منشور داخل العراق على مدن يبعد بعضها ٦٥ ميلًا فقط إلى الجنوب من بغداد، وتركز مضمونها في توجيه إنذارات موجهة إلى العاملين في السلاح الجوي بأن خنادقهم ستدمر إذا أطلقوا نيرانهم على طائرات قوات التحالف، ووجهت إنذارات أكثر تحديدًا للقوات البرية العراقية قائلة لجنودها «استسلموا وانعموا بالحياة» [(١)].

ب- بلغ إجمالي المنشورات المسقطة على العراق ٢٢ منشورًا منذ الحرب وحتى الآن[(٢)].

ج- يلاحظ تدني مستوى صياغة الرسائل على المنشورات منذ إطلاقها في المرحلة

(١) محمد منير حجاب: الحرب النفسية ، مرجع سابق ، ص ١٩٥.

(٢) مركز الشئون النفسية: تقرير المتابعة، ص ٤.

التحضيرية وحتى الآن وهو من أهم أسباب قصورها وعدم نجاحها الكامل في التأثير على الأفراد.

وترى الباحثة: أن جميع هذه المنشورات كانت تهدف لخلق حالة من البلبلة والارتباك لدى الرأي العام وخاصة العربي بالتوظيف المتوازن للوسائل المسموعة والمرئية (إذاعات – قنوات فضائية) وقدرتها وفاعليتها في التأثير على مشاعر واتجاهات الرأي العام، وتكامل إجراءات الاحتواء لردود الفعل السلبية الصادرة إزاء بدء الحرب ضد العراق.

في هذه الحرب شاهدنا مباراة لتصريحات متكررة ومتناقضة من قبل الساسة والعسكريين الأمريكان والبريطانيين، بعض التصريحات التي تدحض زيف مثل هذه التصريحات [1]:

أ – التصريح مرارًا بأن الهدف من الحرب على العراق هو: **تحرير الشعب العراقي وتحقيق الديمقراطية في العراق والعالم العربي**، بما يعود بالنفع على هذه الشعوب، بينما الهدف الرئيسي هو تحقيق مصالح هاتين الدولتين، ومن أهمها: السيطرة على نفط دول الخليج ، والعمل على إعادة رسم خريطة المنطقة ، وذلك كما صرح وزير الخارجية الأمريكية وقتها كولن باول ، بالإضافة إلى الحفاظ على أمن وسلامة إسرائيل.

ب– انطلاق دعوة الرئيس الأمريكي بوش والترحيب البريطاني بها والمتمثلة **بإقامة دولة فلسطينية من خلال إحياء ما يسمى بخارطة الطريق**، وذلك من أجل كسب الرأي العالمي العام وتخدير الشعوب العربية، والحقيقة أن هذه المقولة انطلقت من أجل ضمان سكوت الأنظمة والشعوب العربية، حيث إن هذه الدعوة انطلقت إبان غزو أمريكا لأفغانستان، ثم سرعان ما اختفت بعد تحقيق أمريكا لأهدافها في أفغانستان.

ج– **إزالة أسلحة الدمار الشامل من العراق**، ونلاحظ بطلان هذا الشعار؛ لأنهم لم يعطوا المفتشين الدوليين الفرصة الكافية للتأكد من خلو العراق من هذه الأسلحة ، وهذا ما جاء على لسان كبير المفتشين «هانز بليكس» كما أنهم قصفوا العراق بمثل هذه الأسلحة.

د – **تخليص العراق والمنطقة العربية من الحكم الديكتاتوري** المتمثل في حزب البعث

(١) عماد الزغول: مرجع سبق ذكره، ص ١٧٨.

بزعامة صدام حسين، والواقع أنهم من المؤيدين للأنظمة الديكتاتورية في العالم العربي ضمانًا لتحقيق أهدافهم وحماية مصالحهم.

هـ- **القضاء على الإرهاب**؛ لأن العراق على علاقة وطيدة ببعض الجماعات والتنظيمات الإرهابية، وفي الواقع أنها حجة واهية كان يراد منها الالتفاف حول قرارات مجلس الأمن السابقة المتعلقة بالحرب على الإرهاب [1].

و- في الأسابيع الأولى من العدوان كثيرًا ما تم التصريح عبر وسائل الإعلام من قبل هؤلاء الساسة بأن القوات المتحالفة تحقق نجاحات العمليات العسكرية وأن الخطة تسير كما أريد لها، والواقع كان عكس ذلك صورة وصوتًا كما تم نقله عبر الفضائيات؛ إذ سرعان ما وجد المشاهد أخبارًا تناقض ما تم الإعلان عنه، وفي الحقيقة أنهم كانوا يريدون النيل من معنويات الشعب العراقي وتعزيز ورفع المعنويات لدى قواتهم وشعوبهم من جهة أخرى ، والواقع أن أمريكا وبريطانيا لم تحققا الانتصار على العراق بسبب القدرات العسكرية، وإنما بسبب الخيانة التي حدثت في صفوف الحرس الجمهوري.

ز- ورد على لسان بوش أن ٨٠٪ من الدول والشعوب العربية يريدون التخلص من حكومة صدام، ولكن واقع الحال عكس ذلك، فهناك العديد من الدول العربية شهد احتجاجات ضد الحرب العدوانية على العراق، كما ظهرت في الكويت أصوات معارضة لهذه الحرب.

ح- في الوقت الذي بدأ فيه الأمريكيون والبريطانيون عرض صور لمن يدعون أنهم أسرى من الجانب العراقي، نجد أنهم استشاطوا غضبًا وجن جنونهم عندما عرض التليفزيون العراقي صورًا لقتلاهم وأسراهم، وأخذوا يتبجحون بأن هذا مخالف لحقوق الإنسان وفيه انتهاك لمعاهدة جنيف الخاصة بمعاملة الأسرى، ولكنهم نسوا أنهم أول من خالف هذه المعاهدة ولم يعيروها أي انتباه في معاملتهم للأسرى العرب والمسلمين في أفغانستان، والذين لا زالوا يقبعون في ظروف مهينة في معتقل «جوانتانامو»[2].

ط- كثيرًا ما تردد أن الحرب ستكون قصيرة ولن تدوم طويلًا ولن يتم تعريض حياة المدنيين للخطر، ولكن الواقع ينافي ذلك؛ لأن هذه القوات استخدمت أعنف الأسلحة

---

(١) المرجع السابق، ص ١٧٥.

(٢) عماد الزغول: مرجع سبق ذكره، ص ١٧٩.

من صواريخ كروز وتوماهوك والقنابل الذكية والعنقودية والبساطية ولم تميز فيها بين المنشآت العسكرية وبين المدنيين، وبدا ذلك واضحًا من خلال ما بثته وسائل الإعلام من القتلى المدنيين والتدمير الكبير للمنازل والمساجد.

ى- كثيرًا ما تردد أن القوات المتحالفة ومعداتها العسكرية لم تتعرض إلى أي أذى، وأن الطائرات تقوم بتنفيذ مهامها وتعود إلى قواعدها سالمة وليس هناك أية خسائر في صفوف قواتهم أو معداتهم، ولكن وسائل الإعلام قامت بفضح زيفهم وتضليلهم من خلال ما عرضته من صور للأسرى والقتلى.

ك- تردد في بداية الحملة أن هناك العديد من الدول يزيد عددها عن أربعين دولة تؤيد الولايات المتحدة وبريطانيا في حربها على العراق، وواقع الحال أنها دويلات لا وزن لها جرى ضمان وقوفها إلى جانب أمريكا وبريطانيا عبر وسائل التهديد.

ل- تردد أن العراق يشكل تهديدًا للدول المجاورة، كما تردد على ألسنتهم أن العراق يهدد أمن وسلامة الولايات المتحدة الأمريكية، والواقع أن العراق بعد حرب الخليج الثانية بدأ يتطلع إلى بناء العراق من جديد ولم يكن في نيته أية أطماع خارجية.

إجراءات الاحتواء:

بقدر عنف وشراسة الحملات النفسية الأمريكية وردود أفعالها تأتي إجراءات التحكم والاحتواء للدول المتورطة في الحرب.

الجانب العراقي:

أ - رصد الرئيس العراقي مكافآت مالية ضخمة لإسقاط طائرات التحالف (أسرى - قتلى) لرفع الروح المعنوية والاستثارة العاطفية لمشاعر واتجاهات الشعب.

ب- اتباع أساليب التفنيد المباشر، من خلال إجهاض الشائعات المتتالية خاصة شائعات إصابة صدام ومصرع نجله قصي، أو مصرع وإصابة الرموز السياسية والعسكرية، من خلال تأكيد السيطرة على الأمور وظهور صدام حسين أكثر من مرة في لقاءات مع قيادات عسكرية بحضور قصي مع امتداح أدائهم (تحفيز ورفع معنويات)[1].

ج- تعظيم الخسائر الأمريكية البريطانية بالإعلان عن إحراز بعض النتائج الإيجابية،

(١) مركز الشئون النفسية: تقرير متابعة، ص ٨.

مثل: (إسقاط مقاتلات – طائرات – إصابة دبابات – قتل وأسر عدد من الجنود والطيارين الأمريكيين والبريطانيين).

د – الإصرار على إضاءة المدينة ليلًا وأثناء الغارات الجوية والصاروخية للتقليل من أهمية القصف وخسائره وحفاظًا على الروح المعنوية.

هـ– تعمد إظهار صور القتلى والمصابين (الخسائر البشرية) لكلا طرفي الصراع بشكل يثير ويحرك مشاعر وانفعالات الرأي العام.

و– اعتماد المخطط العراقي في إجراءات احتوائه على العامل الديني في خطابه الموجه سواء للشعب والقوات العراقية أو الرأي العام العربي والإسلامي لضمان التأثير وسرعة نقل رسائله إلى هذه الأهداف تزامن انطلاق المآذن بالتكبير والدعاء وقراءة القرآن مع بدء الغارات الجوية الصاروخية.

ز– اتسام كافة تصريحات رموز الحكم بالانفعالية وعدم ضبط النفس وهو ما يبرز بشكل واضح في استخدام بعض الألفاظ والشتائم والتعبيرات والإسقاطات التي تحمل دلالات نفسية تفضح مشاعره الحقيقية (المجرم – الأرعن – الكلب...إلخ).

ح– تعد الطرق والأساليب المستخدمة في تناول قوات التحالف والتي تأخذ شكل حرب العصابات واحدة من أهم الأساليب (العمل / الحركة) والتي تستهدف إرباك الخصم وإحداث أكبر خسائر نفسية بين أفراده خاصة (الخوف – الإجهاد والقلق) مع التوسع في استخدام الخداع (لبس معدني – لبس مشابه لملابس قوات التحالف).

الإجراءات الأمريكية:

أ – تصريح وزير الدفاع الأمريكي بأن الجيش الأمريكي أقوى وأعظم الجيوش في العالم وتجسيد ونشر أسطورة المقاتل النموذجي على مقاتلي قوات التحالف (ثقة عالية بالنفس – تقدير الذات).

ب– التفنيد المستمر لكافة المعلومات والبيانات التي يتم إصدارها من الجانب العراقي ومحاولة إحباطها.

ج – احتواء الآثار النفسية التي نتجت عن قيام أحد جنود القوات الأمريكية بالهجوم على الفرقة ١٠١ بالكويت ومقتل وإصابة ١٣ من زملائه من خلال الإعلان عنه وتوظيفه في إطار حملتها النفسية.

د - استمرار وتكثيف حملات التأمين والتوعية ضد الهجمات الإرهابية لاحتواء سبق وإحباط محاولة التأثير على القرار الأمريكي.

ومما سبق يتضح لنا أن الولايات المتحدة الأمريكية أعدت جيدًا لهذه الحرب حتى قبل بدء العمليات العسكرية من خلال استخدام الإذاعة الموجهة باللغة العربية «إذاعة سوا» التي تبث الأغاني العربية والأجنبية التي يطلبها الشباب إلى جانب نشرات إخبارية متصلة بصورة تمهد العقل العربي ليكون جزءًا من الثقافة الأمريكية.

وأطلقت حملتها الدعائية المصاحبة للحرب تحت مسمى «كسب العقول والقلوب» بمعنى أنها تسعى إلى كسب عقول وقلوب العراقيين إلى جانبها بدعوى أنها جاءت لتحرير الشعب العراقي من نظام صدام حسين الديكتاتوري كما أنها تستميل عقول قلوب الأمريكيين وتؤكد أنها تحارب من أجل البشرية والإنسانية [1].

الإجراءات الإسرائيلية:

تركز على احتواء الآثار النفسية الناتجة عن تنامي الشعور بالخوف والقلق من احتمالات استخدام النظام العراقي للأسلحة الكيماوية ضد بعض الأهداف الإسرائيلية والمتمثلة في إنشاء إذاعة صامتة لا تبث إلا في حالة الحاجة لتوجيه تعليمات إلى السكان، وتكثيف إجراءات التوعية بكيفية مواجهة الهجمات الكيماوية والصواريخ العراقية في حالة حدوثها.

إجراءات الدول العربية:

تم اتباع أسلوب «**فرض الصمت**» حول تطورات الأحداث مع فرض القيود على المظاهرات والمسيرات الخاصة بالتعبيرعن الرأي العام وتأمين المصالح الأمريكية والبريطانية من غضب واستياء الرأي العام ، وفي مقابل إطلاق العنان للقنوات الفضائية لنقل الأحداث وتطوراتها دون دراسة لأبعاد تأثيرها فضلًا على الصحف المعارضة في بعض الدول العربية وتجاوزاتها التي تحرض على الإغارة وأعمال الشغب.

وترى الباحثة: أن كلا من الإعلام الأمريكي والعراقي نجحا في خلط المفاهيم لكسب التعاطف الدولي والرأي العام الشعبي، وكان التركيز على إزاحة النظام العراقي

(١) ألفت أغا: مرجع سبق ذكره، ص ص ٣٠٩ – ٣١٠.

وتدمير إمكانياته من أسلحة الدمار الشامل التي يهدد بها العالم، بينما في واقع الأمر كانت له أهدافًا اقتصادية وسياسية وأمنية وثقافية أخرى ، أما الجانب العراقي فتركزت دعوته على الوقوف مع العراق ورفض الحرب والاحتلال الأجنبي، وانقسم العالم بين دول مؤيدة، وأخرى رافضة للحرب.

وقد لعبت الإمكانيات الإعلامية للولايات المتحدة دورها في الحصول على التفوق الإعلامي، من حيث: الكم، والتفوق التكنولوجي، والقدرة على الإعلام اللحظي المباشر، والاعتماد على بعض الشبكات التليفزيونية والإذاعية وبعض الصحف والمراكز البحثية دون غيرها للدعاية السياسية الأمريكية، مع فرض قيود أو عدم التعامل مع الوسائل الأخرى، بالإضافة إلى الصحافة المقروءة على الإنترنت والبريد الإلكتروني وعدد من وكالات الأنباء، واستغلت الولايات المتحدة بعض وسائل الإعلام للدول المتحالفة والمتعاونة خاصة بريطانيا وإسرائيل وبعض وسائل الإعلام العربية وعملًا بمبدأ الاحتراف الإعلامي استخدمت شركات إعلامية أمريكية كبرى لتنظيم الحملات الإعلامية في الداخل والخارج [1].

* * *

(١) عبد الرحمن الهواري: «إستراتيجية الإعلام في حرب الخليج الثالثة»، ندوة إستراتيجية بهيئة البحوث العسكرية، يونيو ٢٠٠٤.

obeikandl.com

المبحث الثاني
دور الإعلام والعمليات النفسية في حرب لبنان

حرب لبنان أو حرب الثلاثين يومًا أثبتت أن الإنسان أقوى من الطائرة والدبابة وأقوى من الغطرسة، وهذه القوة مستمدة أولًا من إرادة الحياة، وثانيًا تثبت أن العقل البشري هو الذي يصنع السلاح وليس العكس، والإيمان سلاح أشد شراسة من الصواريخ؛ سواء كان الإيمان بالله أو بالحق أو بالحرية، وأثبتت أن إسرائيل لن تتمكن من البقاء طويلًا في مواقع الاحتلال، وبرغم تفوقها العسكري الهائل فهي في حقيقة الأمر دولة خائفة، وشعبها لا ينام ملء جفنيه، وسوف يبقى كذلك إلى أن تذبل قوته وينتهي جبروته، ولولا هذه الكمية الهائلة من الخوف ما لجأت إسرائيل إلى تدمير بلد بكامله وقطاع بكامله مخالفة بذلك كل قواعد الحروب على مدى التاريخ باستثناء هولاكو.

حرب لبنان أثبتت بما لا يدع مجالًا للشك أن أمريكا هي إسرائيل، وإذا كان العدو الذي يقاتلنا هو الجيش الإسرائيلي والحكومة الإسرائيلية فهو أيضًا الإدارة الأمريكية، وخصوصًا إدارة بوش التي اكتشفت بعد أن دفعت أثمانًا غالية جدًّا في العراق وأفغانستان – وقبلها في أمريكا الجنوبية وفي كوريا وفيتنام – أنها دولة قوية وجبارة، ولكنها لم تحقق نصرًا واحدًا منذ خمسين عامًا، بل لقد حققت إداراتها المتعاقبة مزيدًا من الكراهية وغياب الأمل في الشرق والغرب والعرب والصين والروس وأفريقيا وسائر مناطق الأرض، وإذا أتيح لشعوب العالم أن تدلي بصوتها حول محبة أو كراهية الإدارة الأمريكية فلا شك أن صوت الكراهية سيفوق بدرجات صوت المحبة [1].

حرب لبنان كانت حرب عصابات، هذه الحرب أثبتت للمرة الأولى في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي أن حرب العصابات تؤذي إسرائيل أضعاف أضعاف الحروب النظامية، خصوصًا أن أمريكا تعمل منذ خمسين عامًا على تسليح إسرائيل بحيث تصبح أقوى قوة نظامية في الشرق الأوسط، وخاضت إسرائيل منذ حرب ٤٨ حتى اليوم ثمان حروب مجتمعة وانغلبت في معظمها، وفي جنوب لبنان أثبت عشرون أو ثلاثون ألفًا من رجال حرب العصابات مزودين بشبكة محكمة من الصواريخ والسلاح الفردي الفعال أنهم قادرون ليس على دحر إسرائيل ورميها في البحر فقط، بل على تحطيم أسطورة الجيش

(١) جريدة الأهرام ١٤/ ٨/ ٢٠٠٦، مقالة: إسرائيل تنتصر اليوم . فيصل أبو خضر.

الذي لا يقهر، وتحقيق مستوى طموحاته التوسعية ، ولو قدر للدول العربية المحيطة بإسرائيل أو الراغبة بمواجهتها أن تملك مقاتلين من نوع مقاتلي حزب الله مزودين بشبكة صواريخ فاعلة فمن المؤكد أن جغرافية الشرق الأوسط سوف تتغير.

إسرائيل اكتشفت أنها جسد غريب يعيش في موطن ليس موطنها وفي مجتمع ليس مجتمعها وفي ثقافة ليست ثقافتها وفي ماء ليس ماءها ، وفي حربها على لبنان وفلسطين تأكدت أن المحيط الذي تعيش فيه لن يتآخى معها أبدًا، وأن السلاح الذي تحمله على ظهرها ولا تحيد عنه لن يقوى على إرغام الجسم العربي والمحيط العربي على احتضانها؛ ولذلك نراها تضرب بالطائرات وتهدم وتدمر من جهة، ثم تحاول أن تقترب من العرب من الجهة الأخرى فتزعم أنها تريد السلام والعيش بأمان جنب إلى جنب معهم.

لم تدخر لبنان وسعًا في أثناء حربها ضد إسرائيل في استعمال الأساليب العلمية الحديثة، من خلال المعرفة الإعلامية التكنولوجية وتحديث البنى القتالية للمقاومة بما يتلاءم مع طبيعة العدوان وأساليبه، كما أنها لم تترك للصدفة مجالًا ولا للتواكل والقدرية، حيث تحول الإيمان إلى طاقة إبداعية وابتكارية تستند إلى الإرادة الفردية والجماعية البشرية لتحقيق الأهداف والغايات الوطنية ، وقد أجهضت عبر المقاومة مشروع الشرق الأوسط الجديد، وفتحت باب الأمل في قدرة شعوب المنطقة على تقرير مصيرها بمفردها ورفض الوصاية الإسرائيلية الأمريكية تحت كافة المسميات وكشفت لنا نحن العرب عن مكمن القوة في وجودنا [1].

الخطوط والأهداف لمسار الحملة الإعلامية من الجانبين:

أولًا: من جانب إسرائيل وتركزت حول [2]:

أ – أن إسرائيل مصممة على القضاء على حزب الله وإخلاء الجنوب اللبناني من كافة العناصر المقاومة التابعة له.

ب– القدرة العسكرية الإسرائيلية هي الوسيلة الرئيسية للضغط على لبنان ، لإجباره على اتخاذ قرارات سياسية محددة ، تنهي دور حزب الله على الساحة اللبنانية، ومن ثم

(١) جريدة الأهرام: مقالة مدرسة جديدة في المقاومة لـ د. عبد العليم محمد، بتاريخ ١٤/ ٨/ ٢٠٠٦، ص ٢٢.

(٢) عبد الرحمن الهواري – الإعلام والعمليات النفسية في حرب لبنان – دراسة بحثية – إدارة الشئون المعنوية – وزارة الدفاع ١٣/ ٩/ ٢٠٠٦، ص ٢.

حاولت إسرائيل إبراز تلك القدرة من خلال الهجمات الجوية المستمرة وعلى مدى الـ ٢٤ ساعة والقصف البحري وعمليات الإغارة في العمق.

ج- أهداف الحرب النفسية التي تولى الإعلام الإسرائيلي نشرها تحددت في تحميل حزب الله مسئولية تصعيد هذه الحرب ، وتعريض الشعب اللبناني لكافة المخاطر التي تعرض لها ، وأن إسرائيل انسحبت من كافة الأراضي اللبنانية في مايو ٢٠٠٠ ، تنفيذًا للقرار (٤٢٥) وأنها لم تعتد على أحد.

د - ركز الإعلام الإسرائيلي والإعلام الأمريكي المؤيد له على الآتي:

(١) وصف حزب الله بأنه منظمة إرهابية وتهدد الأمن والسلم الدوليين بمنطقة الشرق الأوسط، وأنها تعمل بالوكالة لصالح كل من سوريا وإيران.

(٢) اتهام سوريا وإيران بأنهما وراء إمداد حزب الله بالأسلحة والمعدات العسكرية.

(٣) اتهام حزب الله بالقصف العشوائي ضد الشعب الإسرائيلي ، وبما يهدد أمن الدولة العبرية.

ثانيًا: الخطوط والأهداف لمسار الحملة الإعلامية من جانب كل من حزب الله ولبنان:

وكان على مرحلتين:

أ- **المرحلة الأولى:** بهدف إبراز شرعية قيامه بالرد على إسرائيل ، وتبرير موقفه أمام الرأي العام اللبناني والعربي، وفيها نفذ الآتي:

(١) **التركيز على الدعاية لقدرات حزب الله** عند نشوب القتال البري والقدرة على هزيمة إسرائيل بريًّا إذا حاولت اختراق الأراضي اللبنانية.

(٢) **إظهار الوحشية** في استخدام إسرائيل للقوة غير المبررة لتدمير البنية التحتية اللبنانية (طرق - كباري - جسور - شبكات كهرباء - شبكات مياه وغيرها) ، علاوة على تدمير قرى الجنوب اللبناني وقصف المطارات والموانى اللبنانية.

(٣) **إبراز الدور الأمريكي** المؤيد تمامًا لكل أعمال العنف والتدمير الذي تقوم به الآلة العسكرية الإسرائيلية والتي حصلت على معظمها من الولايات المتحدة.

ب- **المرحلة الثانية:**

بدأت منذ لحظة العدوان الإسرائيلي على قانا وارتكاب مذبحة ضد اللبنانيين ، حيث أدى ذلك إلى مزيد من الانتقاد لإسرائيل ، وقد استغل حزب الله هذا الموقف في تحويل خطابه الإعلامي إلى معركة العرب ، والدفاع عن شرف لبنان ، وأنه يقوم بإيقاع هزيمة بإسرائيل لم تحدث في كل تاريخها.

الآليات المستخدمة بالحملة الإعلامية [1] :

أولًا: من جانب إسرائيل:

الردع النفسي من خلال استعراض القوة العسكرية والإعلان من وقت لآخر عن تعبئة جديدة لأفراد جيش الدفاع الإسرائيلي، وهو إحدى آليات تلك الحملة التي قصد منها توضيح إمكانيات القوات الإسرائيلية في حسم هذه الحرب بالسرعة التي تريدها وأن نجاحها في تحقيق أهدافها السياسية، من خلال القضاء على قدرات حزب الله هو أمر مؤكد، ومن ثم تتطابق آليات الإعلام مع الآليات السياسية.

ثانيًا: من جانب حزب الله ولبنان بصفة عامة:

اعتمد حزب الله على سعي القنوات التليفزيونية الفضائية والصحافة العربية والعالمية في البحث عن الحقائق العربية والعالمية، وقد حدد حزب الله رئيسه الشيخ حسن نصر الله كمتحدث وحيد باسم الحزب، وينقل عنه كل ما يخطط تنفيذه على المستوى العربي والعالمي، واستخدام **قناة المنار** كوسيلة رئيسية لبث أهداف الحزب، كما **اعتمد على:**

أ - **وسائل الإعلام اللبنانية** وبعض وسائل الإعلام العربية في تفعيل دور الآليات المدعمة للحملة الإعلامية المناهضة لإسرائيل.

ب- **التأكيد على مصداقية قوات حزب الله** من خلال إمكانية تحقيق نجاحات كبير ة في تنفيذها لعملياته مثل: ضرب قطعة بحرية إسرائيلية - إسقاط بعض المروحيات الإسرائيلية.

ج- **استخدام تصريحات بعض المسئولين اللبنانيين العرب** ، وكذا تصريحات أمين عام حزب الله ، بحيث تكون هي الأساس في المعلومات التي تخرج من لبنان ومن وسائل الإعلام المختلفة.

---

(١) عبد الرحمن الهواري - المرجع السابق، ص ٥.

د – **دعم العديد من الفضائيات العربية لدور حزب الله** وأنشطته القتالية من خلال الحرب غير النظامية في مواجهة أقوى الجيوش المسلحة بكافة الأسلحة المتقدمة.

الوسائل الإعلامية التي استخدمت في حرب لبنان:

أولًا: من جانب إسرائيل:

(١) **التليفزيون**: اختصت بعض الشبكات التليفزيونية والأمريكية لنقل الأخبارعن إسرائيل، ووفرت هذه الشبكات مساحة إعلامية كبيرة للدعاية السياسية والعسكرية لإسرائيل، ومن أبرزها مؤسسات " FOX NEWS -NBC - ABC - CBC - CNN".

(٢) **الإذاعة (إذاعة سوا SWA)**: حيث شارك عدد من الشبكات الموجهة، مثل: راديو سوا "SWA" في الوقوف بجانب إسرائيل ، وفي التأكيد على حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها.

(٣) **الصحافة الأمريكية**: كان من أبرز الصحف التي شاركت في الحملة الإعلامية إلى جانب إسرائيل «الواشنطن بوست – النيويورك تايمز – الواشنطن تايم – شيكاغو تربيون – كرستيان ساينس مونيتور».

ثانيًا: وسائل الإعلام اللبنانية بما فيها حزب الله والوسائل العربية الداعمة له:

(١) **التليفزيون**: اختص التليفزيون اللبناني ومحطة المستقبل وباقي الشبكات التليفزيونية اللبنانية بنقل الأخبار العسكرية وإبراز التدمير الذي أحدثه القصف الجوي الإسرائيلي.

(٢) **تليفزيون المنار**:

وقد تركز على أخبار حزب الله وصموده أمام هجمات جيش الدفاع الإسرائيلي.

(٣) **شبكات الأخبار العربية**: مثل شبكة الجزيرة والشبكة العربية ركزت على دعم لبنان بموقفها من العدوان الإسرائيلي على شعب لبنان.

الإستراتيجيات الإعلامية في الحرب على لبنان:

أولًا: الإستراتيجية الإعلامية الإسرائيلية: وتأسست على:

(١) إضفاء الشرعية على الحرب ومشروعيتها، من حيث إنها دفاع عن الشعب الإسرائيلي وأمنه.

(٢) إسرائيل ليست البادئة بالحرب، وإنما قامت بالرد على العدوان من جانب حزب الله الممثل داخل الحكومة اللبنانية.

(٣) استقطاب الولايات المتحدة والدول العربية في دعم السياسات الإسرائيلية في حربها ضد حزب الله.

(٤) التركيز على أن حزب الله منظمة إرهابية، تهدد الاستقرار في المنطقة، وتعمل لحساب دول أخرى، مثل: سوريا وإيران.

(٥) التبرير للاستخدام المفرط ضد لبنان بأنه دفاع عن النفس ، وأن قصف القرى بالجنوب اللبناني إنما هو نتيجة لوجود قواعد حزب الله داخل هذه القرى، وأنه يستغل المدنيين كدروع بشرية لتحقيق أمنه وأهدافه.

(٦) محاولة إقناع الدول العربية بأن حزب الله هو السبب وراء كافة الأزمات التي تقع على حدود إسرائيل الشمالية، وأن إسرائيل نفذت القرار (٤٢٥٩) بانسحابها من الجنوب اللبناني).

(٧) تكثيف الإعلام الإسرائيلي لاستصدار قرار من مجلس الأمن يحقق لإسرائيل بالوسائل الدبلوماسية ما لم تستطع تحقيقه بالوسائل العسكرية، وإيجاد منطقة عازلة بها قوات دولية بالجنوب اللبناني (شمال نهر الليطاني).

(٨) الإيماء بأن صواريخ حزب الله تدمر القرى والمدن الإسرائيلية وهو ما لم يحدث، حيث ضعف تأثير هذه الصواريخ.

(٩) التأكيد على قدرة إسرائيل لهزيمة أي قوة تتعارض مع أهدافها، وأنها توجه آلتها العسكرية ضد المعتدي دون توسيع مسرح القتال ؛ وذلك فهي لم توجه ضربات إلى سوريا واقتصرت فقط على حزب الله.

(١٠) مخاطبة الشعب الإسرائيلي نفسه لتبرير عجز الجيش عن إيقاف صواريخ حزب الله.

وترى الباحثة: أن الهدف الإستراتيجي الإعلامي لإسرائيل قد تركز في الحصول على تأييد وتعاطف الرأي العام الغربي والأمريكي ومساندته في الحرب ضد لبنان ، وبث الثقة في القوات الإسرائيلية وقدرتها على إنجاز المهام المكلفة بها ، ومن ثم امتزجت الإستراتيجية الإعلامية بالدعاية والعمليات النفسية ، من خلال الدعاية بأن الحرب إنما هي من أجل الدفاع عن النفس ومن أجل تحرير لبنان من أكبر منظمة إرهابية تعمل لتنفيذ السياسة السورية والإيرانية.

ثانيًا: الإستراتيجية الإعلامية لحزب الله ولبنان: وركزت على عدة محاور:

(١) **استقطاب الشعب اللبناني** والشعوب العربية لصالح حزب الله، واعتباره المدافع عن التراب اللبناني والكرامة العربية في مواجهة العدوان الإسرائيلي غير المبرر.

(٢) **تحرك الإعلام اللبناني والإعلام الخاص بحزب الله** من أجل إبراز أن إسرئيل تستهدف تدمير لبنان وشعبه وقتل المدنيين العزل والأطفال والنساء والشيوخ ، ومن ثم تشويه سمعتها على المستوى الدولي.

(٣) **إبراز النجاحات التي حققها حزب الله في المواجهة** مع جيش الدفاع الإسرائيلي، لرفع معنويات الشعب اللبناني والشعب العربي، وهو ما نجح فيه حزب الله من خلال تكتل رأي عام شعبي على المستوى العربي مناصر لحسن نصر الله.

(٤) **الدعاية لكشف الأكاذيب الإسرائيلية** وكشف الحقائق والرد على الدعاية الإسرائيلية.

(٥) **تكاتف الشعب اللبناني** في مواجهة العدوان الإسرائيلي والتأكيد على أنه يريد تدمير الشعب اللبناني ككل وليس حزب الله فقط.

(٦) **وقد قام رئيس الحزب بإجراءين مهمين هما:**

(أ) الاعتذار للشعب اللبناني من منطلق: «أنه لو يعلم ماذا سيحدث من رد إسرائيلي مفرط للقوة ، لما قرر تنفيذ عملية أسر الجنديين».

(ب) إقرار صرف تعويضات للمتضررين من اللبنانيين نتيجة للقصف الإسرائيلي (دون أن يحدد المصدر الذي سيوفر له حجم التعويضات المطلوبة والتي قد تصل إلى عدة مليارات من الدولارات).

العمليات النفسية في الأزمة اللبنانية (الوعد الصادق):

أولًا: على الجانب الإسرائيلي [1]:

(١) التأكيد على العلاقة بين الإرهاب الدولي وبعض الدول العربية والإسلامية (سوريا – فلسطين – إيران)، كذا الحركات الإسلامية (القاعدة – حماس – الإخوان المسلمين) وتحميلها مسئولية أعمال العنف.

(١) مركز الشئون النفسية: (العمليات النفسية في الحرب اللبنانية والإسرائيلية الوعد الصادق)– تقرير متابعة ٢٠٠٦ ص ٢.

(٢) تأجيج الخلافات وبث الفرقة بين التركيبات العرقية والدينية في المجتمع اللبناني بما يعمل على خلق حالة من عدم الاتزان الاجتماعي الداخلي.

(٣) استثارة وتحريض النخب الفكرية والدينية على والتقليل من قدرات حزب الله وتقزيمها ، ومدى تأثيره السياسي والعسكري على دوائر صنع القرار في لبنان.

(٤) تهيئة الظروف الإقليمية والمحلية في لبنان إلى قبول التفاوض المباشر مع إسرائيل وفرض شروطها.

(٥) احتواء الآثار النفسية السلبية لدى الرأي العام الإسرائيلي والمتمحور حول تنامي مشاعر التوتر – الخوف والقلق والناجم عن:

(أ) التصاعد غير المتوقع في حجم الخسائر البشرية (قتلى / جرحى) والمادية (تدمير مباني – تراجع السياحة – البطالة) الناجم عن الضربات الصاروخية للمدن والمستوطنات الإسرائيلية.

(ب) الانخفاض الملحوظ في مستوى الروح المعنوية لدى أفراد القوات المسلحة والشعب الإسرائيلي، وتراجع مصداقية الإعلام والدعاية العسكرية.

ثانيًا: أما على الجانب اللبناني وحزب الله [١]:

(١) ترسيخ القناعة بعدم نجاح إسرائيل في تحقيق أهدافها ضد لبنان، خاصة فيما يتعلق بوحدة وتماسك المقومات العرقية والدينية.

(٢) التشكيك في نوايا إسرائيل ومدى التزامها بتنفيذ بنود القرار (١٧٠١).

(٣) استثارة الرأي العام العربي والإسلامي وتفعيل أدواته لإجبار إسرائيل على رفع الحصار وتنفيذ قرارات المجتمع الدولي.

(٤) احتواء وإزالة الآثار النفسية السلبية التي خلفتها العمليات العسكرية لأفراد الجنوب اللبناني (إيواء – إعاشة – مياه – كهرباء – صحة.... إلخ).

(٥) دعم السياسة القومية لوحدة الدولة اللبنانية والحفاظ على هيبتها من خلال خلق حالة من التوازن بين دعم ما يحققه حزب الله من نتائج على الأرض وبين شرعية ووحدة مؤسسات الدولة [٢].

---

(١) المرجع السابق، ص ٤.

(٢) المرجع السابق ، ص٥.

الرسائل والأساليب النفسية:

أولًا: من الجانب الإسرائيلي:

(١) خروج إسرائيل من الحرب منتصرة عسكريًّا وسياسيًّا (تبرير – تعظيم قدرات).

(٢) لا خطوط حمراء أمام إسرائيل لتحقيق أهدافها وستلاحق حزب الله في كل مكان وزمان (ضغط نفسي – تهديد).

(٣) إسرائيل مازال لديها من القدرات التكنولوجية العالية التي تمكنها من تحقيق أهدافها تحت كافة الظروف وعوامل التأثير (تهديد - تخويف).

(٤) الرأي العام الإسرائيلي بكافة مستوياته حتى الأطفال يدعمون قرارات الإدارة الإسرائيلية (تنشئة أطفال إسرائيل على كراهية العرب والمسلمين).

(٥) استمرار الضغوط النفسية والتهديدات الإسرائيلية ستكون مستمرة لحين تسليم المختطفين الإسرائيليين بدون شروط وتوقيع اتفاق سلام مع لبنان.

(٦) حزب الله يمجد ضحاياه فقط كشهداء للأمة ككل، وهو ما يؤكد على اعتبار الحزب دولة مستقلة داخل دولة أخرى (تحريض – دق أسافين).

(٧) الحجم الكبير من الخسائر البشرية والمادية في البنية الأساسية في لبنان يرجع أساسًا إلى لجوء حسن نصر الله لاستخدام الأفراد اللبنانيين ومنازلهم كدروع بشرية لعناصر وسلاح الحزب (تشكيك – استثارة – تأليب).

ثانيًا: من الجانب اللبناني / حزب الله:

اتفاق وتأكيد كل من الإدارة اللبنانية وحزب الله على أنه وبالرغم من كل شيء فإن هناك وحدة وطنية في لبنان، وذلك من خلال الرسائل النفسية التالية:

(١) حزب الله يدرك جيدًا أهداف إسرائيل وأمريكا لدق الأسافين والوقيعة بين طوائف المجتمع اللبناني وسيجهض هذه المحاولات (تفنيد - سبق وإحباط).

(٢) ما حققه حزب الله من انتصارات في عملياته العسكرية يعادل بل يتجاوز أي نصر عربي سابق على إسرائيل (خداع - إيحاء - تعظيم قدرات ونتائج).

(٣) حزب الله ما زال يحتفظ بالكثير من القدرات العسكرية والمادية التي تمكنه من

الرد على إسرائيل في حالة عدم التزامها بالقرار (١٧٠١) وتنفيذ بنوده (تهديد – تعظيم قدرات).

(٤) هدف حزب الله الحالي هو سرعة إعادة البناء والعودة واحتواء تداعيات ما حدث تحقيقًا لمصداقية شعار عملية الوعد الصادق (تقارب – صداقة).

(٥) الحزب صادق في توجهاته نحو السعي لإيجاد حلول عادلة وسلمية لأزمة الشرق الأوسط عامة واللبنانية بصفة خاصة (تقارب – صداقة – تقليل من أهمية الموضوع).

(٦) انتشار النكات والشائعات بين اتجاهات الرأي العام اللبناني ما هو إلا تداعيات وتفريغ للشحنات العاطفية والانفعالية (سخرية – تهكم).

خصائص ومبادئ الحملات النفسية:

اتسمت هذه الحملات بالخصائص الرئيسية التالية [1]:

(١) عدم مراعاة هذه الحملات للسياسة القومية للدولة (لبنان)، مما أدى إلى ارتكازه على الاعتماد على استخدام القوى العسكرية وتقليل اعتماده على القوى السياسية والحزبية.

(٢) تركز دعمها بالكامل لسياسات وإستراتيجية حزب الله وأمينه العام وتنسيقها وتزامنها مع تطورات تصاعد الأزمة والصراع، مما أدى إلى المصداقية وسرعة وصول الرسائل إلى أهدافها المخاطبة.

(٣) توفير المعلومات الدقيقة والموثقة عن القوات والمنشآت المدنية الإسرائيلية واكتشاف وتحديد نقاط التعرض والضعف، والذي أدى إلى تحديد جيد للهدف النفسي والأهداف المخاطبة الإسرائيلية.

(٤) رصد وتحليل مضمون الحملات النفسية الإسرائيلية وتفنيدها ودحض مضمونها في التوقيت المناسب، مما يؤكد على مصداقية موضوعاتها.

(٥) اعتبار الحملات النفسية للحزب جزءا أساسيًّا من أعمال القصف الصاروخي – الكمائن والهجمات– على القوات الإسرائيلية.

(٦) التوظيف الأمثل لوسائل الاتصال المتوفرة والمتابعة لعمل رسائل الحملات

(١) المرجع السابق، ص ٧.

النفسية (قناة المنار – جريدة النور – القنوات الفضائية والصحف اللبنانية – وسائل الإعلام والدعاية العربية المؤيدة للحزب).

(٧) الاستغلال الجيد للحاجات الأساسية والدوافع النفسية خاصة حاجات الأمن – الخوف من الموت – تقدير وتحقيق الذات في التأثير على الأهداف المخاطبة (سكان شمال إسرائيل) وإجبارها على الاختفاء – النزوح والتشكيك.

(٨) **تميزها بصفة الاستمرارية، حيث رصد في هذا المجال:**

(أ) بدء حملات حزب الله عن قواته وتسليح الحزب قبل تصاعد الموقف بوقت طويل سواء الإعلان عن امتلاك الحزب لصواريخ بأنواع متعددة – طائرات موجهة بدون طيار.

(ب) التدريب المستمر والراقي لعناصر وقوات الحزب وبث الاستعراضات العسكرية لهذه الوحدات على القنوات الفضائية.

(ج) التذكير المستمر بانتصارات الحزب التي أجبرت إسرائيل على الانسحاب من الجنوب اللبناني عام ٢٠٠٠.

(د) استمرار التهديد عقب توقف القتال بقدرات الحزب التي مازال يحتفظ بها وأن كل ما استخدمه لا يمثل سوى ١٠٪ فقط من قواته.

الطرق والوسائل النفسية [١]:

أولًا: على الجانب الإسرائيلي:

(١) استمرار استخدام طرق العمل (ACT) على الرغم من توقف إطلاق النار الذي أبرزه (عمليات الإبرار – تحليق الطائرات والاختراقات الجوية).

(٢) تكثيف عمليات إسقاط المنشورات على المدن والقرى اللبنانية والذي حقق نتائج إيجابية ساعدت على سرعة إخلاء المدن والقرى والتي كان من خصائصها:

(أ) بلغ إجمالي المنشورات المرصود توزيعها من ١٥ – ٢٠ مليون منشور.

(ب) تضمنت ٥ – ٦ أنواع (إعلام – تهديد – دق أسافين – تخويف – تهكم وسخرية).

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠.

(ج) استهدف مضمون رسائلها أساسًا إخلاء المدن والتحريض على عدم التعاون مع حزب الله – التهكم والسخرية من حسن نصر الله.

(د) استخدام الطائرات الهيل في إلقاء المنشورات وتوزيعها وتصل إمكانية الطائرة إلى إلقاء من ١٥٠ – ٢٠٠ ألف منشور لكل طلعة.

(هـ) استخدام الورق الأبيض / أصفر / زهري (A4 1/2 – A4) والحبر الأسود – رسوم كاريكاتورية بخطوط حادة لضمان سرعة ووضوح الهدف والرسالة.

(و) ترجح المعلومات السابقة أن إعداد هذه المنشورات كان يتم أثناء العمليات العسكرية وليس قبلها.

(٣) التوسع في إعداد ونشر التحقيقات والموضوعات الصحفية التي تعتمد على أساليب التبرير والإسقاط لنتائج العمليات العسكرية وإعادة تأهيل الرأي العام الإسرائيلي واحتواء التداعيات النفسية.

(٤) استخدام وسائل الاتصال الإلكترونية الحديثة في نقل موضوعات الحملة إلى الأهداف المخاطبة (التليفونات المنزلية –المحمولة – البريد الإلكتروني – رسائل SMS).

(٥) صياغة رسائل تخويف وتهكم وكتابتها على الأنواع المختلفة من الذخائر المستخدمة في قصف المدن والأهداف اللبنانية.

(٦) تكثيف حملة العلاقات العامة الإسرائيلية للترويج لأهدافها وإقناع الرأي العام الأمريكي والأوروبي خاصة بعدالة القضية الإسرائيلية ودعمها في الحرب على الإرهاب الدولي، وذلك من خلال:

(أ) سلسلة الزيارات الخارجية لوزيرة الخارجية الإسرائيلية.

(ب) زيارة كوفي أنان لإسرائيل ودول المنطقة.

(ج) زيارة خافيير سولانا الممثل الأعلى للسياسات الخارجية والأمنية في الاتحاد إلى لبنان.

(د) الزيارة الفاشلة لرئيس الوزراء البريطاني «توني بلير» لبيروت.

(٧) استغلال القنوات الفضائية الإسرائيلية والأوروبية والأمريكية لبث رسائلها

الإخبارية (إعلامية) وبرامجها الدعائية التي تركز على أساليب التقارب – الصداقة – تعظيم القدرات – التهديد من قوى توسع المد الإسلامي.

(٨) استمرار توظيف المحطات الإذاعية؛ سواء الناطقة باللغة العربية الموجهة للعالم العربي (رمادية) أو للمحطات التابعة لجيش الدفاع الإسرائيلي وأفرعه المختلفة.

ثانيًا: وعلى الجانب اللبناني/ حزب الله:

(١) التوسع في استخدام القنوات الفضائية سواء التابعة للحزب (قناة المنار) أو القنوات المحلية خاصة (الكوثر – المستقبل – NTV – تلى لوميار الدينية التابعة للكنيسة الكاثوليكية – LBC) أو القنوات الإخبارية المعايشة بشكل جاد ومُرضٍ لتطورات العمليات خاصة قناتي (الجزيرة والعربية).

(٢) تقوية البث الإذاعي للمحطة التابعة لحزب الله (إذاعة النور) واستغلالها في بث الرسائل؛ سواء للسكان المحليين – وحدات وعناصر حزب الله – أو للسكان اليهود في مدن ومستوطنات الشمال الإسرائيلي.

(٣) استخدام الوسائل المقروءة (الصحف) بأنواعها وتوجهاتها المختلفة، سواء التابعة للحزب، أو المحلية اللبنانية، أو الإقليمية في نشر رسائل الحزب وتغذية كتابها ومفكريها بموضوعات ذات تأثير إيجابي وداعم لتوجيهات وأهداف حزب الله.

(٤) السرعة في تفنيذ وإحباط الشائعات والدعاية الإسرائيلية المعادية على الظهور المتكرر لحسن نصر الله على قناتي المنار التابعة لحزب الله أو قناة الجزيرة، وذلك بهدف:

(أ) التفنيد المتزامن لتطورات الأزمة والسبق والإحباط في نقل رسائلها والتأكيد على مصداقيتها.

(ب) ترسيخ الصورة الذهنية لحسن نصر الله كرمز وكاريزما زعامة عربية إسلامية جديدة قادرة على تحقيق أهداف الأمة.

أساليب العمليات النفسية التي تم اتباعها في حرب لبنان:

أ – **حدوث هطول أمطار من الصواريخ** على رءوس سكان لبنان، حيث قامت طائرات سلاح الطيران بإسقاط مئات الآلاف من الصفحات البيضاء على أرض الأرز تحمل توقيع دولة إسرائيل.

ب- **دعوة الجيش الإسرائيلي في معظم المنشورات** [1] التي كانت تلقى -تقريبًا كل يوم- السكان إلى ترك منازلهم خوفًا من أن يستخدمهم رجال حزب الله دروعًا بشرية، ولكن الجيش الإسرائيلي كان يفضل في حالات أخرى التحدث إلى السكان المحليين، بهدف إقناع السكان اللبنانيين عن طريق استخدام الحرب النفسية، وتتمثل الطريقة في توجيه دعوة مباشرة لمن يرغب في الإدلاء بمعلومات عن حزب الله أو استخدام رسوم كاريكاتيرية ساخرة.

ج- تتوجه إسرائيل في أحد هذه المنشورات إلى الجمهور اللبناني تطلب منه الإدلاء بمعلومات من شأنها أن تساعدها في حربها ضد حزب الله، وقد أطلق على حزب الله الشيعي في هذا المنشور «جرح في القلب» حتى أن إسرائيل عرضت خلاله دفع مقابل مادي لمن يتعاون معها، كما عرضت رسومًا كاريكاتيرية تظهر في أحدها أفعى تشبه نصر الله تختفي تحت الأرض ويتلقى الآخرون النار بدلًا منها، يقول عنوان هذ الرسم باندهاش: «المقاومة تحمي الوطن»، والإجابة «الوطن ضحية المقاومة» وفي رسم كاريكاتيري آخر يجلس الرئيس السوري بشار الأسد ونظيره الإيراني أحمدي نجاد وخالد مشعل في شكل دائري ويعزفون الناي، وإذا بحية من نوع الكوبرى تخرج من القدر الذي أمامهم على صورة حسن نصر الله، وتتوجه الحيه وتسألهم كيف يمكنني خدمتكم ؟ وفي رسم ثالث تظهر خريطة لبيروت عليها أفعى سوداء وخطيرة وعنوان يقول: «من الأمام صديق ومن الخلف أفعى».

د – التأكيد على الدور الإيراني لحزب الله [2] وتجنب عناوين «الوطن ضحية المقاومة» فمثل هذه العناوين تخلق عداء ونفورًا من جانب الجمهور المستهدف؛ لأن اللبنانيين يعتبرون المقاومة (حزب الله) رمزًا لتدمير المسيحيين منهم، لأنها حررت لبنان، ومن ثم يجب أن تحول اهتمامهم من أن حزب الله يستغل أسطورة المقاومة المقدسة من أجل تدميرهم.

هـ- **تستميل المنشورات سكان لبنان** ولا تؤدي إلى تفتيت كامل للشعب اللبناني وقيادة حزب الله ، ففي الوقت الذي يهاجم فيه رموزهم وأساطيرهم فإنهم لا يقبلون

(١) جاكي جوكي (معاريف) مختارات إسرائيلية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، سبتمبر ٢٠٠٦.

(٢) المرجع السابق، ص٥٣.

ذلك ويرفضونه باشمئزاز، ولكن عندما تثني عليهم فإنك بذلك تستميل قلوبهم.

و- **إظهار حزب الله بأنه المعتدي** الذي جلب على اللبنانيين الحرب، وأن حسن نصر الله اتخذ قرارًا فرديًّا لا يوافق عليه غالبية اللبنانيين ، فإبراز هذه الرسالة ستؤدي إلى عزلة ، فمن الذي بدأ هذه الحرب ؟ «البادي أظلم» لقد خرجنا من لبنان ورغم ذلك جاء العدوان من الجانب الآخر.

ز- **منشورات تدعو سكان لبنان إلى الإدلاء بمعلومات عن نصر الله**، فليس من المهم أن يقوم اللبنانيون بالإدلاء بمعلومات عن نصر الله، بل إن مجرد احتمال حدوث ذلك يمكنه أن يشكل ضغطًا على حزب الله.

ح- **الإعلان عن حوافز مغرية** لمن يكشف عن مكان المواقع العسكرية المحصنة أو الوعد بالحماية من قصف سلاح الطيران لمن يدلي بمعلومات عن أماكن إخفاء الصواريخ، فكما قال عالم الاجتماع الفرنسي جاك ألوك: «الرسالة الإعلامية الجديدة هي التي يجب أن تحفز المستهدف على العمل».

ط- **تنظيم حملة جباية طارئة لحساب إسرائيل** حيث قرر اتحاد الجاليات اليهودية في الولايات المتحدة مؤخرًا جمع ٣٠٠مليون دولار كمساعدة طارئة لإسرائيل، وستساهم نيويورك المدينة التي يوجد بها أكبر عدد من اليهود في الولايات المتحدة، وكذلك اليهود ميسورو الحال بستة ملايين دولار من حجم التبرعات [١].

ى- **نشر وسائل الإعلام في نيويورك إعلانات تنادي بالتبرع** «إسرائيل في حاجة لمساعدتكم الآن» عنوان كبير في إعلان نشر في صحيفة نيويورك تايمز يشجع المتبرعين يعدونهم بأن ١٠٠٪ من حجم التبرعات ستصل مباشرة إلى ضحايا العنف ولن تنفق في إجراءات إدارية مختلفة.

ك- وخلال العدوان الإسرائيلي على لبنان تمكنت المقاومة الإسلامية من ابتكار [٢] مبادئ جديدة في المقاومة، حيث استطاعت أن تجمع في آن واحد بين أساليب القتال المستوحاة من الحروب التقليدية مثل تلك الأساليب التي تنتمي لحروب العصابات، فقد امتلكت المقاومة قدرة هجومية صاروخية قادرة على تهديد العمق الإسرائيلي وفي الوقت

(١) المرجع السابق، ص ٦١.

(٢) عبد العليم محمد، مدرسة جديدة في المقاومة، مقال جريدة الأهرام، ١٤ أغسطس ٢٠٠٦.

ذاته تخلت عن الجغرافيا والقواعد الثابتة وبقيت في ميدان المعركة في الخطوط الأمامية والخلفية وحولت المواقع التي أعلن العدو السيطرة عليها واحتلالها إلى مواقع اشتباك استنزفت قوات العدو ومدرعاته طيلة هذه الأسابيع .

ل- تمكنت المقاومة بذلك ، ورغم الخلل الواضح في ميزان القوى من بناء توازن للرعب مع إسرائيل عبر قدرتها على إلحاق الضرر والهلع بالعمق الإسرائيلي في الشمال وتهديد المدن البعيدة بالصواريخ، ولم تتمكن إسرائيل رغم تفوقها التكنولوجي والعسكري من تدمير منصات إطلاق الصواريخ أو اعتراضها، وظلت هذه الصواريخ تنهمر بمعدلات تتناسب طرديًّا مع تأكيد العدو إضعاف قدرة المقاومة على إطلاق الصواريخ، محدثة بذلك حالة من الهلع والخوف والحياة في المخابئ والملاجئ في شمال إسرائيل فضلًا عن كساد الموسم السياحي في التهجير.

م- هذا وقد أكد تقرير فينوجراد الصادر في مايو ٢٠٠٧م بشأن الحرب في لبنان بأن الحكومة والقيادة العسكرية غير مسئولة عن الأخطاء التي وقعت في هذه الحرب، ومن ثم فهذا التقرير يحمل حكومة أولمرت كافة هذه الأخطاء ومن ثم يمكن اللجوء إلى انتخابات مبكرة داخل إسرائيل، وهناك رأي عام في إسرائيل ينادي بإقالة كل من أولمرت وبيرتس وزير الدفاع، كما أكد أن حزب الله قد نجح في إحداث خلل داخل المجتمع الإسرائيلي خاصة بين الحكومة والشعب، مما يؤكد على نجاح حزب الله في إحراج القيادة العسكرية الإسرائيلية، ولكن يجب أن نضع في الاعتبار أن هناك أصواتًا داخلية داخل إسرائيل تنادي بتصحيح حرب لبنان بحرب أخرى لتمحو عنها هذه الأخطاء ولتؤكد أن جيش الدفاع جيش لا يقهر.

وترى الباحثة: أن حرب لبنان أشبه ما تكون بحرب العصابات وليست حرب نظامية، وأنها لم تحقق الأهداف المرجوة منها ، فإسرائيل لم تستطع تحقيق نصر سواء على المدى القريب أو البعيد حتى لو دمرت لبنان كلها، كما أنها غير قادرة على ضمان أمن أعداد كبيرة من سكان الجبهة الداخلية وستجد صعوبة في تقليل حجم الأضرار الجسيمة والمعنوية التي لحقت وستلحق بها في أسرع وقت، وهذه الحرب إنما هي بمثابة إعلان لانهيار الأيديولوجية الإسرائيلية.

* * *

المبحث الثالث

الدروس المستفادة من حربي العراق ولبنان

كان الإعلام أداة رئيسية من أدوات إدارة الصراع وخاصة في حربي الخليج الثالثة وحرب لبنان نتيجة للثورة المعلوماتية الهائلة والتقدم السريع والمتلاحق في هذا المجال، وأثبتت هذه الحرب زيف السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، وأظهرت تحيزها السافر لإسرائيل وازدواجية المعايير والكيل بمكيالين، تكمن خطورة الحرب الإعلامية فيما تحدثه من تضليل متعمد للمتلقي بغرض تحقيق أهداف معينة غير معلنة، ويتضح هذا في الإعلام الأمريكي الذي يروج فقط للأفكار التي تخدم المصالح الأمريكية والإسرائيلية.

إظهار أمريكا لاستطلاعات الرأي الأمريكية التي تبين أن الأغلبية تؤيد الحرب سواء في العراق أو في لبنان، مع وجود تعتيم إعلامي لا يظهر الحقيقة الكاملة أمام الشعب الأمريكي، تحذير سوريا وإيران من مخاطر تقديم أي مساعدات عسكرية للعراق أو للبنان، وهذا نوع من الردع الوقائي، وهو رسالة موجهة لجميع الدول العربية كنوع من الترهيب والتخويف.

فقدت وسائل الإعلام الأمريكية مصداقيتها وموضوعيتها ورسالتها التي كانت تؤكد على أنها «البحث عن الحقيقة» ، فلقد تحول المراسلون إلى أبواق للعسكريين الأمريكيين والبريطانيين، فهم يبثون فقط ما يملى عليهم في المؤتمرات الصحفية أو خارجها ويتم فصل من يخرج عن هذا الخط.

ولخطورة تأثير الإعلام على الشعوب سواء في أوقات السلم أو الحرب أنشأت وزارة الدفاع الأمريكية «البنتاجون» وحدة رد سريع للتصدي لانتقادات وسائل الإعلام المختلفة، وتتشابه مهامها مع مهام وحدة العلاقات العامة الجديدة بالبنتاجون إلا أن مسئولي وزارة الدفاع نفوا أن يكون تصاعد حدة الانتقادات لحرب العراق وراء إنشاء هذه الوحدة، وتتكون من:

أ - الإعلام الجديد لإعداد منتجات وتوزيع معلومات للإنترنت والمواقع الإلكترونية.

ب- التعامل مع دوائر الإعلام على مدار ٢٤ ساعة جميع أيام الأسبوع منها الخطابات الموجهة لرؤساء التحرير، وتنشر البنتاجون حاليًا تلك الرسائل على موقعها الإلكتروني إثر عزوف الكثير من الهيئات الإعلامية عن نشر تلك الخطابات.

حرب العراق:

من أهم النتائج التي توصلنا إليها هي أن أمريكا كان لديها تخطيط إستراتيجي مسبق قبل الحرب بفترة، «فلقد وضعت إستراتيجيتها الإعلامية مع بداية عام ٢٠٠٢ بعد اتخاذ القرار السياسي بالحرب على العراق، وشمل التخطيط جميع مراحل الحرب خلال المهلة التحضيرية وأثناء إدارة العملية ومرحلة ما بعد الحرب، وغطى التخطيط جميع دوائر الاهتمام داخليًّا وخارجيًّا، من خلال الارتباط بدوائر الاهتمام والفئات المخاطبة والرسالة الإعلامية المطلوب توصيلها لتحقيق هدف معين» [(١)].

وأبرز ما تميز به الإعلام الأمريكي هو المرونة والمناورة بالرسائل الإعلامية ارتباطًا بمتغيرات الموقف الإستراتيجي السياسي والسياسي العسكري وقياسات الرأي عن ردود الأفعال، وذلك في إطار ما يطلق عليه تكامل الحلقة الإعلامية في دائرة التخطيط الإعلامي، ومن أمثلة ذلك: المناورة بالرسائل الإعلامية الموجهة إلى تركيا في يناير/ فبراير ٢٠٠٣ للترغيب والتهديد لتعديل موقفها من الحرب.

خلال المرحلة التحضيرية للحرب:

كان يهدف لكسب «تعاطف الرأي العام الداخلي والخارجي لتأييد السياسية الأمريكية، وتعددت المهام الإستراتيجية لتغطي دوائر الاهتمام في اتجاه الرأي العام الأمريكي والقوات المسلحة الأمريكية وفي اتجاه دول أوروبا وآسيا والدول العربية بما فيها العراق وإيران وتركيا، والدعاية لعدالة الحرب الأمريكية.

مرحلة إدارة العملية:

«تركز حول الإنهاك المتعمد للعراق، وإضعاف حالة المقاومة، وحث المجتمع الدولي على المشاركة في الحرب، وتم تحقيقه من خلال مجموعة من المهام الإستراتيجية الإعلامية لدعم الروح المعنوية للشعب والجيش الأمريكي وتوجيهها للعراق بما يحقق سرعة سقوط النظام العراقي، وإضعاف المقاومة العراقية، وكسب تعاطف الرأي العام الدولي والعربي بما يحقق عزل العراق والدول المناهضة للحرب خاصة فرنسا وألمانيا وسوريا وإيران.

وترى الباحثة أن الدور الإعلامي الأساسي كان له دور مهم ورئيسي في تسهيل

(١) عبد الرحمن الهواري: إستراتيجية الإعلام في حرب الخليج الثالثة، مرجع سبق ذكره، ص ٤.

الاستيلاء على بغداد بالتعاون مع نشاط المخابرات والعمليات النفسية خلال الفترة من ٦ – ٩ أبريل ٢٠٠٣.

مرحلة ما بعد الحرب:

تتركز في تجميل صورة الاحتلال الأمريكي للعراق وكسب ولاء وتعاطف الشعب العراقي والدعاية لبناء عراق جديد على النمط الأمريكي.

وتركزت الدعاية لتغيير الهوية وإبراز الدور الأمريكي في العراق على المسار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأمني مع دعم إجراءات احتواء المقاومة [١].

وترى الباحثة: أن هذه المرحلة لم تنتهي وإنما مستمرة حتى الآن، ونجد عند استمرار تصاعد المقاومة العراقية يتم تكثيف الدعاية لاحتواء المقاومة، وعندما يتصاعد الرأي العام العراقي المناهض للاحتلال تتصاعد معها الرسائل الإعلامية لتجميل صورة الاحتلال وضرورة استمراره لفرض الأمن الداخلي، وعندما تصاعدت قضية الوثائق المزورة التي تدين العراق بسعيها لامتلاك اليورانيوم المخصب فظهرت الرسائل الإعلامية الموجهة لتبرير الحرب على العراق في إطار مكافحة الإرهاب، وعلى الرغم من توفر الوسائل والإمكانيات البشرية والخبرات السابقة للجانب الأمريكي سواء في التخطيط وإدارة الحملات النفسية؛ فهناك العديد من العوامل التي أثرت على الحملات النفسية وهي:

أ – قصور الجانب الأمريكي الحاد في المعرفة السليمة بقيم وعادات وتقاليد الشخصية العربية واللغة واللهجات خاصة العراقية والتي ظهرت أخطاؤها؛ سواء في صياغة رسائل المنشورات، أو النداءات الموجهة للأهداف المخاطبة (أفراد قوات مسلحة – الشعب العراقي)، مما أثر سلبًا على تأثير وتفاعل الأهداف المخاطبة، أو حتى فهم وترجمة أهدافها والثقة الزائدة بالنفس والتضارب في المعلومات.

ب– الاهتزاز الواضح في مصداقية ما تناولته الوسائل من رسائل نفسية، خاصة فيما يتعلق بسرعة وقدرة القوات الأمريكية والبريطانية في الوصول إلى بغداد وسحق أي مقاومة تعترضها [٢].

---

(١) المرجع السابق، ص٥.

(٢) مركز الشئون النفسية: تقرير متابعة، مرجع سبق ذكره، ص ١٧، ١٨.

ج – التعدد غير المسبوق لوسائل الإعلام والدعاية واختلاف وسائلها والتي يرتبط مضمونها واتجاهاتها، وهو ما أجبر البنتاجون على إجبار قواته المسلحة على مشاهدة موقع قناة الجزيرة على الإنترنت.

التخطيط الإستراتيجي الإعلامي للعراق في المرحلة التحضيرية:

خلال المرحلة التحضيرية للحرب تركز حول المحافظة على الروح المعنوية، وحث الشعب العراقي على الثقة في النظام، ومحاولة الحصول على تأييد دولي وإقليمي مناسب، ومحاولة كسب وتعاطف الرأي العام الدولي والعربي والإسلامي في الخطاب السياسي للعراق، بالإضافة لبث روح الهزيمة في الولايات المتحدة وقواتها المسلحة [1].

وكانت الرسائل الإعلامية غير مقنعة وليس لها مصداقية كما اتصفت بالعشوائية في حالات أخرى مما جعلها سلبية وذات تأثير متوسط.

خلال مرحلة إدارة العملية:

تركز على حث الشعب والجيش العراقي على المقاومة والجهاد والحفاظ على تماسك الجبهة الداخلية وبث روح الهزيمة في قوات التحالف.

وترى الباحثة: أن الرسائل الإعلامية في هذه الفترة كانت تتم بشكل عشوائي وغير مدروس ارتباطًا بسير أعمال القتال ومتغيرات الموقف العسكري.

ونستخلص من العمليات النفسية العراقية أنها استطاعت:

أ – الحفاظ على مستوى وقدرات البث التليفزيوني والمناورة بوحدات بث متحركة لضمان نقل رسائله.

ب– تركيز المخطط العراقي على استثارة المشاعر العاطفية بعرضه للخسائر (أسرى – قتلى – طائرة أباتشي) كذا الإصابات الشديدة في الجانب المدني لتحريض الرأي العام العالمي من جهة واستثارة وتفجير مشاعر الغضب لأفراد قوته.

ج– الاعتماد على أساليب الاستخفاف والاستهزاء بالجانب الأمريكي – حرب العصابات – العمليات الفدائية مع القصور الشديد في الوسائل المتوفرة أو المتاحة لتنفيذ هذه المخططات المركزية.

---

(١) عبد الرحمن الهواري: إستراتيجية الإعلام في حرب الخليج الثالثة، مرجع سبق ذكره، ص ٦.

د – اللجوء لاستخدام أساليب السباب والشتائم، وهو ما يعكس قدرًا عاليًا من التوتر والقلق.

من أهم الدروس المستخلصة في هذه الحرب:

أ – أصبح **صدام حسين** رمزًا وبطلًا قوميًّا وخاصة بعد إعدامه في أول أيام عيد الأضحى لدى العديد من فئات الشعوب العربية التي تعاني من نتائج وتداعيات ازدواجية المعايير الدولية – الأمريكية في إدارة الصراع بالشرق الأوسط.

ب– أن الحملة العسكرية الأمريكية كانت موجهة إلى العرب والمسلمين وليست للعراق فقط، والرفض الشعبي الكبير للحرب قد ظهر جليًّا من خلال المظاهرات العنيفة التي تفجرت في العديد من مدن العالم على المستويين الدولي والإقليمي.

ج– تزايد مشاعر الغضب والكراهية للسياسة الأمريكية مع عدم القناعة بدوافع هذه الحرب التي لا تحظى بالدعم؛ سواء على مستوى متخذي القرار، أو الرأي العام على المستويات المختلفة [1].

هـ– هذه الحرب لا تستند على أية شرعية دولية ولا تجرى عليها مواد الاتفاقيات الدولية المنظمة للحرب، وما حدث من تعتيم إعلامي أمريكي كان هو السبب الرئيسي وراء استمرار التأييد للرئيس بوش من خلال استطلاعات الرأي التي أظهرت أن ٧٤٪ من الشعب الأمريكي مازالوا يؤيدون الحرب.

و– الشعور بالغضب الممزوج بالخوف من قبل الشعوب العربية عامة والشعب العراقي بصفة خاصة أدى إلى تنامي ظاهرة العنف والرفض القاطع لأي شكل من أشكال الاحتلال للعراق.

ز– أثبت الإعلام الأمريكي **عدم قدرته على فرض سيطرته** ومصداقيته على الرأي العام، وذلك بعد إذاعة الخسائر العديدة التي لحقت بالقوات الأمريكية والبريطانية وصور الأسرى.

ح– تغيير الشعار الرئيسي للحملة من «الصدمة والترهيب» (The Shock, Aware) إلى «العراق الموحد» وذلك في إطار حملات تحسين الصورة الأمريكية في المنطقة.

---

(١) مركز الشئون النفسية تقرير المتابعة ، مرجع سبق ذكره.

ط- ترجع أسباب عدم تكامل نجاح القوات الأمريكية حتى الآن في تحقيق أهدافها من المنظور الأمريكي نتيجة لعدم تفهم القوات الأمريكية لطبيعة الشعب العراقي وعدم الدراسة الجيدة لعاداته وتقاليده.

ى- انهيار وتسريح الجيش العراقي وقوات الأمن فتح المجال لانتشار الفوضى في العراق.

ك- هناك رأي عام عسكري غير راض عن سياسات ومخططات وزير الدفاع الأمريكي لانفراده بعملية اتخاذ القرار دون الأخذ بآراء الخبراء المتخصصين.

ل- تزايد الخسائر في القوات الأمريكية والبريطانية ساهم في تولد مفهوم وجداني رافض، مع تنامي مشاعر القلق والخوف من استمرار تصاعد هذه المشاعر.

م- استمرار احتلال العراق يشكل ضغوطًا أمريكية متعددة الاتجاهات، سواء أكانت سياسية، أو ثقافية أو عسكرية، كذلك يبدو أن الولايات المتحدة في سبيل مصلحتها لا تفرق بين حلفائها وأصدقائها في المنطقة وتمارس الضغوط على الجميع من أجل فرض وجهة نظرها ومن ثم تحقيق مصالحها [١].

ن- عكست الحرب على العراق تداخلًا بين مفهومين هما «**الحرب الفعلية والحرب الفعالة أو الحرب الميدانية والحرب الإعلامية**» حيث اتسمت التغطية الإعلامية للحرب على العراق بكثافة غير معتادة وتدفق غير مسبوق للأخبار والتقارير والصور والتعليقات، كما ظهرت في هذه الحرب تكنولوجيا متطورة جعلت منها حدثًا بصريًّا وتكنولوجيًّا له خصوصيته المتميزة، كما أنها كانت من أكثر الحروب التي استخدم فيها التضليل الإعلامي من خلال الانتقائية الشديدة للأخبار من الطرفين (الأمريكي والعراقي) [٢].

س- كما أثبتت متابعة الأداء الإعلامي وقت الحروب أنه كلما تعددت المصادر زادت إمكانية إتاحة الفرصة للجمهور للحصول على المعلومات ، لكن في الوقت نفسه تقل

(١) عبد الرحمن الهواري: المتغيرات العالمية والإقليمية المعاصرة وتأثيرها على الأمن القومي العربي والمصري، دراسة بحثية، كلية الدفاع الوطني - أكاديمية ناصر العسكرية العليا.

(٢) هويدا مصطفى، المعالجة الإخبارية لأحداث الحرب على العراق في الفضائيات العربية، دراسة تقويمية، الفضائيات العربية ومتغيرات العصر، أعمال المؤتمر العلمي الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام، الدار المصرية اللبنانية، ص ٢٩٧.

إمكانية التحقق من المعلومات نتيجة التضارب بين هذه المصادر.

ع- تؤكد الدراسات الإعلامية أن ٣٠٪ من التصريحات الإعلامية وقت الحروب تكون مضللة كجزء أساسي من الحرب النفسية، ويؤكد ذلك سماح القنوات الأمريكية لقنوات محددة بتغطية أحداث الحرب وتوصيل رسائل معينة ، ويتضح ذلك من خلال ما تقوم به CNN حيث يقوم خبير عسكري أمريكي داخل المكتب الرئيسي لشبكة أتلانتا في ولاية جورجيا باختيار وتنقيح الأخبار التي يتم بثها.

ف- على الرغم من امتلاك التليفزيون تكنولوجيا فائقة التطور والتقدم تمكنه من التغطية الشاملة والدقيقة لأي حدث في التغطية للحرب على العراق فإنه لم ينعكس هذا التفوق عليها فكان هناك نقص شديد في نوعية المعلومات وتكرارها وعرضها بدون تدقيق أو تمحيص حرصًا على التدفق المستمر والمباشر للأخبار [١].

ص- عدم وجود سياسة إعلامية عربية واضحة للتعامل مع الأحداث تؤدي لوجود حالة من شبه الاتفاق على بعض الخطوط العريضة في صياغة الأخبار ونقل الأحداث.

ق- إخفاق الفضائيات العربية في أن تكون مرآة حقيقية لدى المشاهد العربي على الرغم من تفوقها في سرعة نقل الأحداث ، مثل نقلها الأوضاع في العراق قبل الحرب فأصبحت الصورة غير واضحة عن أوضاع عراق ما قبل الحرب، مما أوجد حالة من الإحباط لدى المشاهد العربي بعد سقوط العاصمة العراقية.

ر- الإعلام العربي أو الغربي لم ينقل للجمهور حقائق حرب العراق وبدت الأحداث مجزأة وغير مفهومة رغم البث المكثف والحر على مدار اليوم والذي تنافست كل وسائل الإعلام على تقديمه ، حيث قدمت التغطية الإعلامية للحرب بعض جوانب الواقع فقط ولم تنجح في تكوين رأي عام حقيقي تجاه الأحداث، وهو الأمر الذي يتطلب معلومات صحيحة ونقاشًا عامًّا يعتمد على تدفق حر للمعلومات.

ش- «الحقيقة هي أولى ضحايا الحرب» وصدق ونستون تشرشل عندما قال: «إن الحقيقة في زمن الحروب غالية جدًّا بحيث يجب أن تحاط بحرس من الأكاذيب»[٢].

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٩٧.

(٢) ألفت أغا، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢١.

ت- احتل العراق موقع القلب في هذه الحروب وباعتباره مرادفًا إستراتيجيًّا؛ ولم يتم الاعتراف بمركزيته فقط في دعم المجهود الحربي، بل اعتبر جزءًا لا يتجزأ وأساسيًّا من ذلك المجهود، ويدلل على ذلك الميزانيات المرصودة من قبل البيت الأبيض لنشر وجهة النظر الأمريكية وتحسين صورتها في العالم وخاصة الإسلامي تزيد عن مليار دولار سنويًّا، أما الميزانية المناظرة في بريطانيا فتبلغ نصف مليار دولار [1].

ث- انتقد الصحفي الشهير BOB WOODWARD وودورد رئيس تحرير صحيفة واشنطن بوست في كتابيه «حرب بوش» Bush's War، و«خطة الهجوم» Plan of Attack بوش وحكومته، وقال: إنها تعمدت عدم كشف الحقيقة الكاملة للوضع في العراق للشعب الأمريكي، وأن التورط الأمريكي في العراق يعيد إلى الأذهان هزيمة أمريكا في فيتنام.

خ- «أن الحرب على العراق من الحروب القليلة التي خرج فيها الناس بالملايين قبل حدوثها للمطالبة بإيقافها لإدراكهم بانعدام مبرراتها؛ وأنها لخدمة مصالح ضيقة، وهذا كان موقف الرأي العام الأوروبي الذي خرج في ١٥/ ٢/ ٢٠٠٣ في مظاهرات لم تشهد بريطانيا وأسبانيا وإيطاليا مثلها ضد مشاركة البلدان الثلاثة في تلك المغامرة التي وصفها وزير المالية الفرنسي السابق دومينيك بأنها: «ميلاد الأمة الأوروبية» متحدية في ذلك الهيمنة «الرحيمة أو الخيرة» لتحقيق ما سموه بالصالح العالمي العام عن طريق الحروب الوقائية ونشر الديمقراطية وتغيير الأنظمة الديكتاتورية»[2].

ذ- صورة الحرب في العراق في التليفزيون الأمريكي تختلف عن الصورة التي كانت تنقلها الوسائل الإعلامية الأخرى وخاصة العربية، مما يؤكد حجم الزيف والتضليل الإعلامي الذي لم نشهده سوى في هذه الحرب، ومما يؤكد على الانحياز وعدم الموضوعية والدعاية التحريضية، وأن عدد الصحفيين الذين قتلوا في هذه الحرب فاق أي حرب أخرى وهو عدد غير مسبوق، مما يدلل على أمر مهم وهو حجم الكذب الذي كان يراد له أن يمر دون انكشاف حتى تظل أسطوانة «أكذب عليَّ» هي السائدة [3].

---

(1) David Meller "Tell me lies" propaganda and midia distontion in the attack on Inaq "Fersa, London, Pubbbluihed 2004.

(٢) المرجع السابق، ص ٣.

(٣) المرجع السابق.

ض- **وترى الباحثة**: أن تظاهر الملايين ضد السياسة الأمريكية في العراق والتنبؤ بفشل مشروعها هناك وأن فيتنام أخرى تنتظرها يؤكده الواقع الدامي في العراق؛ فالديمقراطية بدون الأمن لا معنى لها، حيث التكلفة البشرية المدفوعة من أجلها أغلى من تكلفة أي حرب أهلية، فلقد ضرب العراقيون رقمًا قياسيًّا بخسارتهم ٦٥٥ ألف عراقي خلال أربع سنوات، فالولايات المتحدة ليس لها خيار آخر سوى ترك العراق عاجلًا أم آجلًا كحال أي احتلال بعد أن أدركت أن بقاءها يقاوم بشدة وأنها تدفع الثمن غاليًا من أرواح أبنائها.

ظ- المطلوب ليس هزيمة الولايات المتحدة، ولكن إنهاء احتلالها وإدراكها بأن للقوة حدودًا، وأنها لا تعالج خلافاتها مع الدول الأخرى بالقوة والغطرسة، وإنما إذا كانت تريد للعراق أن يستقر فلتكف عن استعداء سوريا وإيران وأن تشركهما مع غيرهما من الأطراف العربية والإقليمية في حفظ ماء وجهها وأن تكون لها سياسة مستقلة في المنطقة عن سياسة إسرائيل [١].

الدروس المستفادة من حرب لبنان:

أ - بدا التناقض واضحًا منذ بداية هذه الحرب ، فوجدنا أكثر من رأي في أسر حزب الله اللبناني لجنود إسرائيليين تصرفًا مشروعًا في إطار مقاومة المحتل والسعي لاستعادة الأسرى من سجونه ، ومن رأوا في ذلك مغامرة محسوبة أو غير محسوبة.

ب- ففي ظل التطور التكنولوجي الهائل في وسائل الإعلام فإنه مازال هناك بعض القيود التي تفرضها المصادر العسكرية وخاصة في أوقات الحروب ، ولم يحدث في تاريخ الحروب المعاصرة ما حظي به الإعلام من اهتمام كما حدث في حرب الخليج الثانية والثالثة وحرب لبنان، حيث شهدت كل هذه الصراعات تطورًا ملحوظًا جعلها في دائرة الضوء، كما نال اهتمام عدد كبير من الباحثين للبحث عن دوره المستقبلي كأداة رئيسية من أدوات الصراع وامتزج معه العمل النفسي الدعائي.

ج- الكثير من وسائل الإعلام العربية كانت تغطيتها لحرب لبنان أقرب إلى وجهة نظر الدول التي تملكها أو تمولها باستثناء قلة حاولت التصرف بمهنية واعتبرت الحرب فرصة لإظهار جدارتها وتميزها [٢].

---

(١) على النواب صحوة وسائل الإعلام: مرجع سبق ذكره، ص ٥.
(٢) الجزيرة نت (٢٥/٨/٢٠٠٦).

د- تبين أن هذا العدوان الوحشي الإسرائيلي على لبنان كان بهدف حماية أمن المستعمرات من صواريخ حزب الله؛ لإحداث أكبر أثر ترويعي ممكن يهدف لتهجير وإخلاء منطقة يقطنها مئات الألوف لتصبح نموذجًا للتطهير العرقي الذي اعتادته الحركة الصهيونية [1].

هـ- اتباع إسرائيل سياسة ترويع المدنيين ليس فقط لمنع عمليات التسلل عبر حدودها، بل أيضًا كوسيلة لردع الأنظمة العربية نفسها وإجبارها على إقامة سلام معها وفقًا للحدود والشروط التي تريدها هي خلافًا لمقررات الشرعية الدولية [2].

و- **وترى الباحثة**: أن هذه هي إحدى الأدوات المهمة للعمليات النفسية التي يتبعها الجانب الإسرائيلي منذ إعلان قيام هذه الدولة المتطفلة والمهددة لجيرانها.

التداعيات النفسية لهذه الحرب [3]:

الأفراد والمجتمعات التي تتعرض للأزمات / والحوادث والحروب (مدنيين أو عسكريين) دائمًا ما يواجهون العديد من (الخسائر) والآثار والتداعيات النفسية السلبية، وهو ما يعرف بعصاب ما بعد الصدمة، وكان من أبرز خصائصها ما يلي:

أ - اضطراب نفسي يقع للأفراد بعد خبرة أو موقف حياتي سلبي (كارثة - حرب) ودائمًا تظهر أعراضها متأخرة كرد فعل للحدث.

ب- شكل الاضطرابات النفسية والفسيولوجية قد تصل إلى حد الأمراض النفس جسمية والتي من أهم أعراضها:

(١) سرعة وسهولة الاستثارة وردود الفعل العنيفة.

(٢) الأحلام والكوابيس الليلية المتكررة (أحلام عسكرية).

(٣) عدم المشاركة في الحياة اليومية (الإنطواء) و ضعف العلاقات الاجتماعية والأسرية.

(٤) الخوف من الموت واستمرار التفكير بالحدث / نتائج الحرب.

---

(١) كارم يحيى: لبنان وفلسطين اتساع مجال الرعب الأمني، جريدة الأهرام، بتاريخ ٩/ ٢٠٠٦.

(٢) المنظمة العربية لمناهضة التمييز وإسرائيل تاريخ واستهداف المدنيين، الأهرام بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠٠٦.

(٣) مركز الشئون النفسية: تقرير متابعة، مرجع سبق ذكره، ص ١٢.

(٥) الشعور المفاجئ المتكرر لنفس الأعراض التي وقعت من قبل (الإيحاء – الاختباء – الهروب – التبول اللاإرادي – الصداع – الإرهاق).

(٦) ارتفاع نسب الاكتئاب والميل إلى التشاؤم.

(٧) الاسترجاع المتكرر لخبرة الأحداث مع المبالغة في الأعراض خاصة (الأفعال – الحركات اللإرادية) التي تصدر عن أعضاء الجسم.

ج- قد تستمر الأعراض السابقة لمدة أشهر أو تستمر لسنوات.

د – تختلف هذه التداعيات بين كل من الجانب الإسرائيلي واللبناني بالنظر إلى الاختلاف في بناء وتكوين الشخصية الإسرائيلية التي تتسم أساسًا بمشاعر الاضطهاد- عدم الأمان وعدم الاستقرار والخوف من الموت، بينما وعلى جانب حزب الله قوة العقيدة – الاطمئنان – الرضا والإيمان بالنصر.

هـ- غالبًا ما تكون نسب الإصابة بعصاب ما بعد الحرب لدى النساء (٢٠٪) أعلى منها عن الرجال (٨٪) على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والعسكري، فكان من أبرز تداعياتها ما يلي:

أولًا: على مستوى الرأي العام الإسرائيلي:

(١) انخفاض الثقة في القدرات العسكرية الإسرائيلية، وظهور اتجاه داعم بتآكل قدرات الردع، وافتقاد الأمن للمجتمع الإسرائيلي خاصة لدى سكان مدن الشمال الإسرائيلي.

(٢) تنامي مشاعر القلق والخوف لدى نسبة عالية من المهاجرين الجدد (من الدول الشرقية) المقيمين في مدن ومستوطنات الشمال الإسرائيلي، وظهور اتجاهات قوية بينهم بالعودة إلى بلادهم.

(٣) الشك في قدرات وإمكانات القيادة السياسية والعسكرية العليا في إسرائيل والمطالبة بالتغيير والمحاسبة خاصة مع تفجر الاتهامات بين المسئولين (تحرش جنسي – اقتصادي – عدم خبرة).

(٤) عدم الرضا عن مستوى أداء الحكومة وجيش الدفاع الإسرائيلي، والمطالبة بالتحقيق مع عناصرهما ورموزهما مع تدني مستوى شعبية أولمرت.

(٥) عدم الإحساس بالأمان مما أدى إلى ارتفاع نسبي في حجم المتعاطين الإسرائيليين

(مدنيين - عسكريين) للمخدرات بأنواعها أو العقاقير الطبية المهدئة / المهبطة نتيجة الاضطرابات السلوكية والخوف والقلق الناتج عن عدم إشباع حاجة الأمن وارتفاع نسب البطالة.

(٦) الخوف من نجاح الدعايات العربية والعالمية ومراكز حقوق الإنسان في المطالبة باعتبار العمليات العسكرية الإسرائيلية في لبنان جرائم حرب.

(٧) الإحباط الناجم عن عدم إشباع الحاجات الأساسية خاصة فيما يتعلق بتقدير وتقييم الذات، أدى إلى (الهروب من الخدمة - عدم الرغبة في التجنيد والخدمة في الوحدات المقاتلة خارج إسرائيل) ارتفاع نسب الخسائر البشرية في المدنيين والعسكريين الإسرائيليين.

(٨) تعاظم الشعور بالصراع النفسي الداخلي ما بين الإقدام على تحقيق عملية السلام، وبين الإحجام عن التفاوض مع كل من حزب الله وحماس.

(٩) بدء ظهور حملات إعلانية تستخدم أساليب التهكم والسخرية للترويج لبعض المنتجات لشركات إسرائيلية (أبواب – شبابيك) وتحمل اسم حسن نصر الله (لها القدرة على الحماية من صواريخ الحزب).

ثانيًا: على مستوى الرأي العام اللبناني والعربي:

(١) الانقسام الواضح عرقيًّا ودينيًّا داخل المجتمع اللبناني (سني - شيعي - حزبي - عرقي) والخوف والقلق من عودة الحرب الأهلية الطائفية مرة أخرى، وتهديد بعض دول الجوار (سوريا - إيران).

(٢) تنامي مشاعر عدم تقدير الذات الناجم عن استمرار الحصار واحتلال أجزاء من الجنوب اللبناني - الخوف من تصاعد التوغل الإسرائيلي وعودة الحصار (بري - بحري - جوي).

(٣) الضغوط النفسية الناجمة عن حجم إعادة بناء المدن والقرى المدمرة والبنية التحتية (كهرباء - جسور - منشآت خدمية... إلخ)، والتباين الواضح في سرعة ومبادرة حزب الله عن البدء في هذه الإجراءات مع طول زمن وإجراءات الحكومة اللبنانية.

(٤) الإحباط الشديد لدى الرأي العام اللبناني بكافة طوائفه واتجاهاته والناجم عن الضغوط الحياتية المتمثلة في:

(أ)الارتفاع غير المسبوق في معدلات البطالة (٧٠ ألف عامل خارج الخدمة) ومن ثم تزايد الشعور بالقلق والتوتر لافتقاده القدرة على إشباع الحاجات الأساسية.

(ب) الانهيار الحاد في المستوى المعيشي لشريحة كبيرة من أفراد الشعب.

(ج) انهيار الموسم السياحي التجاري في لبنان (تدمير – خسائر مادية وبشرية).

(د) تداعيات المطالبة بسحب أسلحة حزب الله والميليشات اللبنانية خاصة الفلسطينية.

(٥) ترى الغالبية أنه قد حان الوقت لأن يعتمد حزب الله على مزيد من المشاركة السياسية وتقليل اعتماده على القوة العسكرية.

(٦) بدء تراجع الصورة الرمزية لحسن نصر الله كقائد جديد حقق انتصار على عدو قوي، مع التشكيك في نواياه كنتيجة مباشرة للآتي:

(أ)تصريح واعتراف حسن نصر الله عقب توقف إطلاق النار أنه لو كان يعلم بهذه النتائج لما أقبل على تنفيذ عملية الوعد الصادق (سبق وإحباط – تقارب).

(ب) تصريحات مسئولين في الحزب على أن الحزب يُحاسِب ولا يُحَاسب، وأن نزع سلاحه غير قابل للمناقشة أو التفاوض.

(ج) الارتفاع الحاد في حجم الخسائر البشرية (١١٤٠) قتيلا – مليون نازح والمادية (تدميره ١٥ ألف مبنى) احتلال الجنوب مع عدم تحقيق أي من الأهداف المعلن عنها لعملية الوعد الصادق.

(د) القبول غير المشروط بالقرار الدولي (١٧٠١) على الرغم من عدم تحقيقه لكافة أهداف الجانب اللبناني.

(٧) ظهور مشاعر عدم الرضا والتشكك حول دور القواعد المنظمة لمهام القوات الدولية (يونيفل) خاصة فيما يتعلق بتأمين الحدود والإشراف عليها؛ مما يعطي انطباعًا بخضوع لبنان للوصاية الأجنبية .

ثالثًا: وبالنسبة للرأي العام الأمريكي / الدولي: فقد رصد:

(١) الانقسام حول مدى الشعور بالرضا عن طريقة بوش في معالجة الصراع بين إسرائيل وحزب الله في أزمات الشرق الأوسط.

(٢) قناعة نسبة مرتفعة نسبيًّا من الرأي العام الأمريكي (٣٥٪) بمسئولية كل من إسرائيل وحزب الله عن بدء الحرب.

(٣) رؤية نسبة ٧٠٪ من الرأي العام الدولي لعدم قدرة الدول العربية في التعايش السلمي مع إسرائيل في الوقت الحالي وذلك على ضوء تطورات أزمة الشرق الأوسط.

(٤) التعاطف بدرجة كبيرة مع الجانب الإسرائيلي (٦٨٪) في ظل الاهتمام بمتابعة تطورات المواجهة بين إسرائيل وحزب الله.

أثبتت حرب لبنان أن التفوق العسكري الهائل لإسرائيل لن يحقق لها الأمن أو السلام الذي تحلم به، وأنهم لم يعودوا يستطيعون إخضاع العرب بالقوة العسكرية كما كان يحدث من قبل رغم الجرائم الإسرائيلية المتواصلة ليلًا ونهارًا والمذاعة في معظم وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، فإن أمريكا تمنع مجلس الأمن الدولي من إصدار أي قرار بإدانة جرائم إسرائيل الدولية، حتى عندما ارتكبت مذبحة قانا وزادت بقتل عدد من جنود قوات الأمم المتحدة ذاتها غير عابئة بعلم المنظمة الدولية المرفوع عاليًا على معسكرهم وعرباتهم [(١)].

أثبتت هذه الحرب أن الدم العربي أصبح أرخص من البترول العربي، حيث إن التهديد بقطعه عن الغرب قد يشعل أسعاره مما يجعل الشعوب الغربية والأمريكان يمارسون ضغوطًا أكبر على حكوماتهم لوقف الحرب الإسرائيلية الأمريكية المجنونة [(٢)].

قائد المقاومة حسن نصر الله فعل بإسرائيل ما لم تفعله كل الجيوش العربية فأذاق إسرائيل طعم الخوف والهوان وهو يمطر المدن الإسرائيلية بثلاثة آلاف صاروخ لأول مرة في تاريخ الدولة الصهيونية في منطقة الحرب العربية الإسرائيلية السادسة تعتبر أطول حرب عربية إسرائيلية منذ إنشائها (٣٤يومًا)، والمؤكد أن كلا من اللبنانيين والإسرائيليين قد فوجئوا بمقدار حجم الأهوال التي خلفتها تلك الحرب ، ورغم حجم الدمار الهائل الذي عاد بلبنان عشرين عامًا للوراء فقد أمكن لها – وبتأييد كل من القوى اللبنانية الداخلية وبدعم إقليمي ودولي – بسط سلطانها على الأراضي اللبنانية لأول مرة منذ

(١) الشافعي بشير: أرادوا لبنان عبرة، فأصبح نموذجا وفخرا، جريدة الوفد العدد (٦٠٦٩) بتاريخ ٢٠٠٦/٨/١١٣، ص ١٤.

(٢) عادل صبري: الدم العربي الرخيص، جريدة الوفد (٦٠٦٩) بتاريخ ٢٠٠٦/٨/١٣، ص ١٤.

عهود طويلة من خلال جيش قوي والأمن الداخلي وسلطات الدولة السيادية وأجهزتها المحلية، كما استعادت الحكومة اللبنانية الموحدة المنتخبة مقدرتها على قيادة كل لبنان [١].

أثبت الشعب اللبناني أنه أقوى وأصلب مما كان يتوقع له البعض برغم طوائفه المتعددة، حيث أثبتت أن هناك حدودًا للقوة المسلحة لأي دولة يمكن أن تحققها جيوشها على الأرض، كما أثبت أن إرادة الشعوب وعزيمتها قادرة على أن تفعل الكثير بأكثر مما تحصيه حسابات القوى المادية.

يمكن للمشاهد العادي[٢] عبر شاشات التليفزيون المنزلي العادي أن يتابع تفصيلات وأحداث الحرب ليس يومًا بيوم، ولكن لحظة بلحظة، بل إن المشاهد العادي كان في إمكانه في أغلب الأحيان الحكم على أداء الجيوش وإنجازاتها وتقدير مدى صدق أو كذب بياناتها الرسمية والاستماع لتحليلات الخبراء العسكريين لتفصيلاتها ولمجرياتها.

قال الرئيس الأمريكي السابق «جيمي كارتر»: إن كراهية العالم العربي [٣] للولايات المتحدة ازدادت وبلغت حدًّا غير مسبوق، وإن إسرائيل وأمريكا تعيشان اليوم في عزلة دولية ولم نشهدها من قبل، بسبب العدوان الإسرائيلي على لبنان والدعم الأمريكي غير المحدود لإسرائيل التي لا تمتلك أي مبرر أو سند قانوني أو أخلاقي للاعتداء على الشعب اللبناني كله؛ فالأسلحة الصغيرة في أيدي المقاومين تستطيع أن تقهر إرادة ونفوس المعتدين المسلحين بكل ما أنتجته الترسانات العسكرية من أسلحة ذكية فتاكة.

الدروس المستفادة:

أ - **بروز أهمية وسائل الإعلام العسكري** في التأثير على الأحداث، دون تركها لوسائل الإعلام الشامل ، وبالتالي يجب تطورها من حيث استخدام الوسائل الحديثة والتكنولوجيا المتقدمة، والتخطيط للتعاون مع الإعلام الشامل وفي إطار إستراتيجية محددة الأهداف.

ب- **أهمية تدريب المراسلين العسكريين** بشكل جيد من خلال عقد دورات تدريبية لهذا الغرض، خاصة أنهم أصبحوا معرضين للمخاطر مثلهم في ذلك مثل العناصر

(١) محمود وهيب السيد: ملاحظات حول لبنان، الأهرام المسائي بتاريخ ٣٠/٨/٢٠٠٦.
(٢) صلاح الدين حافظ: لم يتركوا لنا سوى الكراهية، الأهرام بتاريخ ٣٠/٨/٢٠٠٦.
(٣) صلاح الدين حافظ: لم يتركوا لنا سوى الكراهية، الأهرام بتاريخ ٣٠/٨/٢٠٠٦.

المقاتلة، كذلك إكسابهم القدرة على التحليل الموضوعي والهادف، وقد برز مراسلوا قناة الجزيرة في بث الأحداث، ولم يكن للإعلام المصري نفس الدور في ذلك.

ج- **أهمية وجود إذاعة موجهة** على مستوى القوات المسلحة المصرية ، ويخطط لها جيدًا، بحيث يمكن أن تؤدي إلى تفعيل الدور الإعلامي والنفسي والعسكري ، والتخطيط مستقبلًا لقناة فضائية.

د- **أهمية وضع الخطط المسبقة لدور الإعلام** عند قيام الصراع المسلح، والتدريب الدوري لأساليب تنفيذ هذا المخطط أهمية أن يكون هناك متحدث عسكري، ويكون له دور محدد في إذاعة البيانات وعقد مؤتمرات صحفية للتغطية الإعلامية للأزمة.

هـ- **أهمية وجود دور سياسي** متواصل لشرح توجهات الدولة نحو الأزمة، وأسباب وركائز تلك التوجهات والإيجابيات والسلبيات التي تتحملها الدولة كإفراز لهذا الصراع، وأن يشارك في هذا الدور جميع المسئولين بدءًا من الرئيس مرورًا برئيس الوزراء والوزراء المختصين، ثم المحللين العسكريين [1].

في إطار احتواء الحملات النفسية المعادية، فقد ثبت أهمية :

أ - التعرف على أداء واتجاهات الأفراد بالطرق والأساليب العلمية الموضوعية، ومعرفة أوجه القصور في إشباع حاجاتهم الأساسية وحل مشكلاتهم.

ب- الاستمرار في دعم وتنمية مشاعر الولاء تجاه الوطن بصفة عامة والقوات المسلحة بصفة خاصة.

ج- توعية الأفراد بالوسائل والأساليب المتبعة من قبل الدول المعادية للتعرف على الجوانب المختلفة لخدمة سياستها وأهدافها.

د - رصد وتحليل المنشورات والشائعات التي ينفذها العدو وتفنيدها في مهدها ، مع خلق الوعي والإدراك لدى المواطنين بخطورة عدم الإبلاغ عنها.

هـ- التركيز على اتباع أساليب التفنيد المباشر وغير المباشر للمعلومات التي ترد من وسائل الإعلام المختلفة، ومن ثم التعامل معها مع أهمية جمع وتحليل الموضوعات والوسائل التي يتم رصدها والإبلاغ عنها وتحليلها العلمي.

---

(١) عبد الرحمن الهواري: الإعلام والعمليات النفسية في حرب لبنان، مرجع سبق ذكره، ص ١٥.

خلاصة الفصل الثاني

لم يشهد العالم في تاريخه حربًا تكنولوجية وإعلامية كحرب العراق وحرب لبنان الأخيرة، حيث تجلى فيها التفوق التكنولوجي عسكريًّا، كما تجلى إعلاميًّا وكان البعد الإعلامي في هذه الحرب بعدًا أساسيًّا اتسم بالسلب، وكان عاملًا رئيسيًّا في النصر أو الهزيمة، واستخدمت فيها كل طرق العمليات النفسية من الخداع والدعاية والدعاية المضادة والشائعات والتهديد والوعيد والتضليل والتشويش، كل هذا بهدف بث الرعب في النفوس.

البشرية لم تعرف حربًا بلغ فيها تشويه الإعلام وتزويره مثل الحد الذي بلغه في هاتين الحربين، إذ وقع العبث بالرأي العام في كل مكان وانتهكت حقوق الإنسان، رغم أن الولايات المتحدة دائمًا ما تطالب بنزع أسلحة الدمار الشامل من المنطقة، وادعت أن أسباب حرب العراق هي نتيجة امتلاكها أسلحة الدمار الشامل فإنها لم تتورع في ضربها بأشد وأعنف الأسلحة فتكًا وتدميرًا، إذ كانت تستهدف بصفة خاصة المدنيين وهذه هو قمة الازدواجية والكيل بمكيالين.

نتج عن هذه الحروب أساليب إعلامية تتناقض تمامًا وأخلاقيات المهنة الإعلامية، حيث حل محلها الكذب والتزوير والتضليل، وأطلق على حرب العراق «حرب الكذابين» نتيجة لكذب دول التحالف المعادي للعراق ، حيث كان الكذب هو سيد الموقف فيها في جميع المستويات السياسية والعسكرية والإعلامية.

كانت أمريكا تركز دائمًا على أسطورة الحرب النظيفة، وأنها حرب قصيرة ونظيفة؛ لأن الإدارة الأمريكية تعلم جيدًا من خلال حرب كوريا وفيتنام أن الرأي العام لن يساند حربًا دموية طويلة، ولكن يمكنه مساندة حرب نظيفة وعديمة الرائحة ، وحرص الجانب الأمريكي على إغفال معاناة العراقيين في ظل الهجوم وتجنب عرض المدنيين والمواقع التي تعرضت للقصف على شاشات التليفزيون.

كان أهم أهداف الإعلام في حرب العراق هو خداع الرأي العام وتضليله وإخفاء المعاناة، وما كان يحدث من تدمير وقتل آلاف المواطنين العراقيين، لذا منعت الإدارة الأمريكية وحلفاؤها عرض أي فيلم يصور حجم الدمار والضحايا، بل ونشر أي صورة عن الموضوع، وعندما قصف ملجأ العامرية في واحد من أفظع جرائم الحرب في القرن

العشرين، كان التبرير أن هناك خطأ ارتكبه العراقيون عندما جلبوا المواطنين إلى موقع قيادة عسكري، وكأن من أهداف أمريكا في هذه الحرب كسب الشرعية الدولية أمام الرأي العام العالمي لتبرير الحرب ضد العراق.

ومن خلال متابعة حرب العراق يمكن ووصف التغطية الصحفية فيها بأنها صحافة أوتيلات، أي أن الصحفيين لا يغادرون الأوتيلات للقيام بواجباتهم، وهذا جعل المجتمعات الغربية عمياء لا ترى الحقيقة، كما ساهم في زيادة جهلهم بواقع الأمور في الشرق الأوسط.

برغم محاولات القوات الأمريكية أن يعم السلام بالمنطقة فإنه لا سلام بدون عدل، ولا ديمقراطية بلا حرب ، فرغم القوة العسكرية الضخمة الأمريكية، فإنها لم تستطع تحقيق السلام والأمن في العراق ، كما أن تسريب صور التعذيب في سجن أبو غريب بالكلاب والإذلال بالجنس وتوزيعها ونشرها ليشاهدها جميع الشعوب العربية ما هو إلا محاولة مقززة لإرهاب وترويع الآمنين من الشعوب العربية، وليعوا أن من يخرج عن الإطار الذي رسمته السياسة الأمريكية سيحدث له كما حدث للعراق، ومما يدلل على ذلك تهديد أمريكا لسوريا ولإيران بالتدخل في حالة عدم الانصياع لأوامرها ، كما أنه يدلل على أن أمريكا ليست راعية للسلام وليست راعية للأمن والديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط.

حرب لبنان كانت من أطول الحروب التي تمت في المنطقة، كما أنه ضد لبنان، وأنها كانت تحت السيطرة والمباركة الأمريكية وإلا لما استمرت طيلة ٣٤يومًا اعترضت فيها الولايات المتحدة على إصدار قرار من مجلس الأمن لوقف إطلاق النار، وذلك حتى يتم تدمير البنية التحتية للبنان بالإضافة لتدمير شعبها ماديًّا ومعنويًّا، واتبعت إسرائيل في هذه الحرب الإستراتيجية الدعائية الصهيونية والتي كانت تهدف إلى إكساب الشرعية الدولية لهذه الحرب وأنها لم تبدأ الحرب وإنما لبنان هي البادئة.

تعتمد إسرائيل على عمل إعلامي دعائي منظم ؛ ففي أوروبا تعتمد على مجموعة من المنظمات الصهيونية الأخرى منها منظمة مجلس الحاخامات الأمريكية والجمعيات اليهودية ورابطة الدفاع عن اليهود، كما تعتمد على أجهزة المخابرات في جمع المعلومات، كما أنها تقوم بافتعال الأزمات أحيانًا لتكون موضوعًا دعائيًّا مناسبًا لتحقيق هدف معين، كما أن لديها وزارة للحرب تكون تحت سيطرتها في إدارة التعاون والعلاقات الخارجية

بهدف نشر تأثير الأيديولوجية والسياسة الصهيونية في الخارج وقد نشطت أعمالها الدعائية لا سيما في دول أفريقيا.

تميز الإعلام في هذه الحرب بتعدد شبكات الأخبار العالمية التي تمتلك إمكانيات كبيرة في نقل الخبر والصورة والحدث وقت وقوعه، واتباع سياسة التعتيم الإعلامي على ما يدور من أعمال عسكرية على الجانب الإسرائيلي وكذا في جانب حزب الله، واستخدام الإعلام للحملات النفسية على نطاق واسع من أجل التأكيد على مشروعية الحرب ووضع القيود على وسائل الإعلام التي كانت تنقل الأخبار العسكرية عن إسرائيل واستخدام حزب الله وسائل إعلام خاصة به في مجال القنوات الفضائية مثل قناة «المنار» وهو ما سهل الترويج لدعاية حزب الله.

أفصح الإعلام في هذه الحروب عن معنى الحرب بمفهومها المعاصر وكمية التدمير التي تصاحب هذه الحروب، وبالتالي حدد الخط الرفيع ما بين السلام بمفهومه العادل والحرب بشرورها وآلتها التدميرية، استطاع كل طرف في هذه الحرب تضليل الرأي العام العالمي والداخلي حيث كان هناك تناقض واضح بين ما يذاع في كل من أمريكا وإسرائيل، وبين ما يذاع في العراق وسوريا ولبنان، وذلك بهدف تحقيق مصالحهم في المنطقة واخضاع إرادة الشعوب.

أثبتت كل من حرب العراق ولبنان أن حرب المعلومات والإعلام أصبحت أكثر قوة وشراسة من الحرب النظامية ولديها القدرة الفائقة على تحقيق النصر استطاعت التأكيد على الكراهية التي ملأت قلوب الجماهير العربية والإسلامية ضد السياسة البوشية الجمهورية، تلك الكراهية التي كان من الممكن أن تنسحب إلى أمريكا ذاتها بما تنطوي عليه من ردود فعل جامحة، لذا نجد أن الكره لكل ما هو أمريكي يتزايد في جميع الدول العربية والإسلامية، وأن التفوق العسكري والتكنولوجي لا يكسر إرادة الشعوب في البقاء ولا يستطيع بث روح اليأس والخضوع أو زرع بذور الفرقة بين كل عربي وآخر بوسائل مختلفة، بدليل استمرار المقاومة العراقية حتى الآن منذ انتهاء الحرب في ٩ أبريل ٢٠٠٣، وكذلك استمرار المقاومة اللبنانية والفلسطينية.

* * *